
المنظومة
ALMANDUMAH


المنظومة
ALMANDUMAH

الفصل الرابع

الدولة الفاطمية في المغـــــرب
((296-365هـ / 909- 975م))

▪ **الأسباب التي أدّت إلى قيام الدولة الفاطمية :**

إنَّ مسألة نسب الفاطميين من المسائل التي حيرت الإخباريين، ومنهم ابن خلدون ومن سبقوه، وهي مشكلة تاريخية، والمصادر تختلف باختلاف ميولها وميول مؤلفيها[١].

ينسب الفاطميون أنفسهم إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص)، ويعتقد الفاطميين بنسب إسماعيل بن جعفر الصادق (ت 138هـ) وهو الإمام السابع، وعرف أتباع إسماعيل بالإسماعيلية أو السبعية (لأن إسماعيل هو الإمام السابع)، وإليه ينسب الفاطميون، يقول المقريزي في هذا الشأن: (وكان يدعو إلى الإمام من آل البيت محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق)[٢]، وقد نشأت الحركة الإسماعيلية كحركة دينية شيعية سياسية[٣].

وما بين وفاة جعفر الصادق (سنة 138هـ) وقيام الدولة الفاطمية في المغرب، عرفت في تاريخ الإسماعيلة بدور التستر؛ لأنها بدأت في عهد اضطهاد وملاحقات للشيعة وأهل البيت، الأمر الذي اضطرهم إلى الستر والتقية، خوفاً من العباسيين، وتنتهي بظهور عبيد الله المهديّ، فهي فترة غامضة؛ لأنها بدأت بسرية تامة، ولأن علماء الدعوة الإسماعيلية لم يحاولوا الكلام عنها ولأن الستر هو أصل من أصول مذهبهم[٤].

وفي دور الستر نجد نوعين من الأئمة:

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص 21-23؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص 57-59؛ انظر: حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1980م، ص28. ويقول المقريزيّ في اتعاظ الحنفا: (اعلم أن القوم ينسبون إلى الحسين بن علي بن أبي طالب والناس فريقان في أمرهم: فريق يثبت صحة ذلك، وفريق يمنعه وينفيهم عن رسول الله (ص) ويزعم أنهم ينسبون إلى ميمون القداح ابن ديصان النوبي الذي ينسب إليه منطقة النوبة، وكان له مذهب في الغلو وولده عبدالله وكان عبدالله عالماً بجميع الشرائع والسنن والمذاهب، وأنه رتب سبع دعوات يندرج الإنسان فيها حتى ينحل عن الأديان ويصبح إباحيا لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً).

(٢) ابن فهد، النجم عمر بن محمد بن محمد المكي، في نسب الخلفاء الفاطميين (أسماء الأئمة المستورين)، تقديم وتحقيق حسين فضل الله الهمداني، الجامعة الأمريكية، القاهرة، 1958م، ص10. وسيشار إليه فيما بعد: ابن فهد، في نسب الخلفاء؛ المقريزيّ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزيّة)، بيروت، 2001، ج1، ص 348. وسيشار إليه فيما بعد: المقريزيّ، الخطط؛ Daftary.f., the Ismailis their history and Doctoringe, Combridge-united kingdome, 1990, PP.91-93.

(٣) عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج4، ص351-404؛ ابن أيبك الدواداري، ابو بكر عبدالله بن أيبك، (ت بعد سنة 736هـ/1335م) كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السادس المسمّى، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تح صلاح الدين المنجد، الجزء السابع المسمّى، الدرر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، تح سعيد عبد الفتاح عاشور، المعهد الألماني للآثار القاهرة، (196م، 1972م، ج6، ص146-147) وسيشار إليه فيما بعد: ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج 4، ص404،351؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، طبعة دار الثقافة، بيروت، 69-1972م، ج3، ص82؛ الصفدي، صلاح الدين خليل ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تح أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م، ج17، ص41-42. وسيشار إليه فيما بعد: الصفدري، الوافي؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص77.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 12-13؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص 74-77؛ انظر: العباديّ، في التاريخ العباسي، ص 225.

1.الأئمة المستورون أو المستقرون، وهم الأئمة الحقيقيون الأوصياء على الإمامة وهؤلاء أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق.
2.الأئمة المستودعون أو الحجج، وهم الأئمة الذين يمنحون الإمامة أمام الناس، ليغطي على الإمام الحقيقي، ولا يحق له نقل الإمامة إلى أبنائه الدعاة الذين قاموا بالدعوة للأئمة المستورين، وهؤلاء هم ميمون القداح[*] وأولاده من بعده، وميمون القداح هو أول من اتخذ الأئمة المستورين حجة ونائباً له، وهذا السبب جعل البعض يخلط بين الفريقين وينسب الفاطميين إلى ميمون القداح[١].

وكان الإمام جعفر الصادق قد نصّ على أن يتولى الخلافة من بعده ولده الأكبر إسماعيل، ولكن قيل: أن إسماعيل قد توفي في حياة أبيه، وبذلك انتقلت الإمامة إلى ابنه محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، لأن الإمامة حسب المفهوم الشيعيّ لا تكون إلا في الأعقاب وذلك تأويلاً للآية القرآنية الكريمة: (وجعلها كلمة باقية في عَقِبِه)[٢].

ولكن أغلب مؤرخي الإسماعيلية يقولون: أن قصة وفاة إسماعيل بن جعفر في حياة أبيه كان يراد منها التمويه والتغطية على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، الذي كان يطارد أئمة الشيعة في كل مكان، فخاف جعفر الصادق على ابنه وخليفته إسماعيل، فادعى موته، وأتى بشهود كتبوا محضراً إلى الخليفة العباسي الذي أظهر سروره لوفاة إسماعيل الذي كان إليه أمر إمامة الشيعة، ثم شوهد إسماعيل بعد ذلك في البصرة، وفي بلاد فارس[٣].

وبعد أن تسلم محمد بن إسماعيل الإمامة بعد أبيه اشتد عليه الضغط العباسي، فخرج من المدينة إلى الكوفة مصحوباً بأخيه علي، وظل فيها مستتراً عن العيون حتى ولد له ولدٌ أسماه عبدالله، ومن الكوفة سار إلى الري، واستتر عند أحد دعاته السريين المسمى إسحاق بن عباس الذي كان حاكماً للري من قبل الرشيد، وكان محمد بن إسماعيل قد توفي سنة 169 هـ[٤].

(*) ميمون القداح: عاش في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، كان مولى بني مخزوم ومن أهل مكة، وهو تلميذ للإمام محمد الباقر خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري إذ كان راوية لجعفر الصادق، والمحضر الذي أصدره العباسيون سنة 403هـ/1011م بالطعن في نسب الفاطميين ووقع عليه الشريف المرتضى لم يرد فيه ذكر لميمون وابنه عبدالله، وهو طبيب عيون من الأهواز والقداح من القداحة أي تطبيب العيون. انظر: ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، تح جمال الدين الشيال، مؤسسة رضا تجدد، طهران، إيران، 1971م، ص 238–239؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 22–29، الخطط، ج 1، ص 241؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج26، ص 23–25.

(١) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص 202؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج4، ص 351 – 404؛ انظر: العباديّ، في التاريخ العباسي، ص225.

(٢) ابن فهد، في نسب الخلفاء، ج 9، ص 101 – 104، وانظر: سيد، أيمن فؤاد، الدولة الفاطمية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 1، 1992م، ص30. وسيشار إليه فيما بعد: سيد، الدولة الفاطمية؛ غالب، مصطفى، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس، بيروت، ط 3، 1979، ص7. وسيشار إليه فيما بعد: غالب، تاريخ الدعوة.

(٣) غالب، تاريخ الدعوة، ص7.

(٤) المرجع نفسه، ص 8 – 9.

واستلم الإمامة من بعده ولده عبدالله، وازداد في التستر والخفاء، وخرج سراً إلى منطقة هرمز وبلاد الديلم، وهناك تزوج امرأة من الأسرة العلوية وهي ابنة الأمير علي الهمذانيّ، فرزق منها طفلاً أسماه أحمد، ولقبه محمد التقي(١).

وعاش موسى الكاظم بعد ذلك حتى توفي مسموماً في بغداد سنة 183هـ/799م، كما يقال بناءً على أوامر الخليفة هارون الرشيد(٢).

والحركة الإسماعيلية كانت في بادئ الأمر تدل على إحدى الفرق الشيعيّة، ثم صارت تهدف إلى تكوين مجتمع إسماعيلي قوي عماد التقية والتخفي، ونظامه يقوم على الإخاء والمودة(٣).

كانت هناك فرقتان قد ساندت إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، وقد ظهرت هاتان الفرقتان عند وفاة إسماعيل، وافترقت عن بقية الإمامية فقط بعد وفاة جعفر الصادق سنة 148هـ/765م(٤):

الفرقة الأولى – الواقفة، وهي تنكر وفاة إسماعيل في حياة أبيه، وتؤكد أنه الإمام الحقيقي بعد جعفر الصادق، وتعتقد أنه لم يمت، وأنه سيعود كمهدي، وأنه أعلن وفاة ولده إسماعيل تقيّة فحسب لحمايته، وكتم أمره، وقد سمّي النوبختيّ والقمّي هذه الفرقة بالإسماعيلية الخالصة(٥).

الفرقة الثانية – تؤكد وفاة إسماعيل في حياة أبيه، وتعترف بإمامة محمد بن إسماعيل، وتعدّه صاحب الحق الشرعي في خلافة إسماعيل، وترى أن جعفر الصادق قد عينه في مكان أبيه بعد وفاته(٦).

وتبعاً لهؤلاء فإن الإمامة لا ينبغي لها أن تنتقل من أخ إلى أخيه بعد انتقالها من الحسن إلى الحسين، بل يجب أن تستمرّ في الأعقاب، وهذا هو سبب رفضهم لإدعاءات موسى الكاظم وبقية إخوة إسماعيل(٧).

---

(١) غالب، تاريخ الدعوة، ص 8 – 9.

(٢) الذهبيّ،العبر في خبر، ص287.

(٣) غالب، تاريخ الدعوة، ص4.

(٤) النوبختيّ، أبو محمد الحسن بن موسى بن الحسن (ت 310هـ/922م)، فرق الشيعة، تح هيلمون ريتر، شامبول-تركيا، 1931م، ص57-58. وسيشار إليه فيما بعد: النوبختيّ، فرق الشيعة؛ القمّي، ابو القاسم سعد بن عبدالله الأشعري، (ت 350هـ/961م) المقالات والفرق، تح محمد مشكور، طهران-إيران، 1963م، ص80. وسيشار إليه فيما بعد: القمي، المقالات؛ وانظر: الشهرستانيّ، الملل والنحل، ج 1، ص149؛ Daftary, f., Op.cit, P.95.

(٥) النوبختيّ، فرق الشيعة، ص 57-58؛ القمّي، المقالات والفرق، ص 80؛ وانظر: Daftary,F., Op. cit, P95.

(٦) النوبختيّ، فرق الشيعة، ص58، 62؛ القمّي، المقالات، ص80-81.

(٧) النوبختيّ، فرق الشيعة، ص 58،62؛ القمّي، المقالات، ص 80-81؛ عماد الدين، تاريخ الخلفاء ،ج 5، ص160-161. وسيشار إليه فيما بعد: عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء؛ وانظر:
Stern, S., Merodox, Ismailism at. The time of Al-muizz, Bosas XVII, 1955, P. 26; Deftary, f., op. cit, P96.

وحسب الرواية الإسماعيلية، فقد سبق عبيدالله المهديّ، مؤسس الخلافة الفاطمية في أفريقية سنة 297هـ/909م سلسلة من (الأئمة المستورين) من أبناء محمد بن إسماعيل، امتنعت المصادر الإسماعيلية عن ذكر أسمائهم(١).

وكان الشيعة فرقاً، فمنهم من كان يذهب إلى أن الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه، وهؤلاء يعرفون بالإسماعيلية من أجل أنهم يرون بأن الإمام من بعد جعفر ابنه إسماعيل، والإمام من بعد إسماعيل هو محمد المكتوم، وبعد المكتوم جعفر المصدق، وبعد جعفر المصدق محمد الحبيب(٢).

ويقول المقريزيّ: (وكان جعفر بن محمد الصادق يؤمل ظهوره ويصير له دولة وكان باليمن من أهل هذا المذهب كثيرون بعدن، وبأفريقيا، وكتامة، ونفرة)(٣).

ففي الرسالة التي بعث بها عبيدالله المهديّ، أنكر المهديّ اتصال نسبه إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، ويقرر أن جدّه الأعلى هو أخو إسماعيل الأكبر، ويدعى عبدالله وأن جعفر الصادق عيَّن عبدالله وليس إسماعيل كوريث شرعي له(٤).

ويذكر ابن حزم أن بني عبيد ولاة مصر قد دعوا في أول أمرهم إلى عبدالله بن جعفر بن محمد، فلمَّا صح أن عندهم هذا لم يعقب، إلا ابنة واحدة اسمها (فاطمة) تركوه، وانتموا إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد(٥).

أما مصعب الزبيري فيقول: أن عبدالله وإسماعيل ابني جعفر الصادق من زوجته فاطمة بنت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأن لعبدالله ولداً أو أولاداً لم يذكر أسماؤهم لأم ولد(٦).

ويذهب النوبختي والقمّي إلى أن عبدالله لم يترك أولاداً بعد وفاته، ولكن القمّي يذكر في موضع آخر، أن عبدالله ولد له من أم ولد ذكر اسمه محمد، وأنه أرسله إلى جهة اليمن، وانتقل بعد وفاة والده إلى خراسان، وأنه هو إمام بعد أبيه وهو (القائم) (٧)، وهذه الفرقة يوجد بعضها في العراق واليمن وأغلبها في خراسان، وتوجد فئة قليلة تعتقد أن الإمامة باقية في ذرية عبدالله حتى يوم القيامة، وأن عبدالله مات وخلف بعده ولداً، وأن الإمامة في ولده(٨).

---

(١) عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج4، ص351-404.

(٢) المقريزيّ، الخطط، ج1، ص349.

(٣) المقريزيّ، الخطط، ج1، ص 349.

(٤) ابن فهد، في نسب الخلفاء، ص8.

(٥) ابن حزم، جمهرة، ص59؛ الزبيري، أبو عبدالله مصعب بن عبدالله، (ت 236هـ/850م)، نسب قريش، نشرة ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1976م، ص64. وسيشار إليه فيما بعد: الزبيري، نسب قريش.

(٦) الزبيري، نسب قريش، ص63-64.

(٧) النوبختيّ، فرق الشيعة، ص65-66؛ القمي، المقالات، ص87-88، 163-164.

(٨) النوبختيّ، فرق الشيعة، ص65-66؛ القمّي، المقالات، ص87-88، 163-164.

وفي (الفهرست) لابن النديم توجد الرواية المضادة للرواية الفاطمية، ومصدرها أبو عبدالله محمد بن علي ابن رازم الطائي الكوفي، وله مؤلف كتبه في مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وذكر نصّه في الفهرست، وتقول رواية المقريزي في (اتعاظ الحنفا) بأن شخصاً غير علوي ويدعى عبدالله بن ميمون القداح هو المؤسس الحقيقي للحركة الإسماعيلية، وهو الجد الأعلى للخلفاء الفاطميين(١).

وعند الرجوع إلى رسالة المهديّ التي أرسلها إلى اليمن نجد إجابة عن سبب اختيار ابن رازم لعبدالله بن ميمون القداح بالذات، إذ تذكر الرسالة أن جعفر الصادق أنجب أربعة أبناء وهم: عبدالله، وإسماعيل، وموسى، ومحمد، وصاحب الحق فيهم هو عبدالله بن جعفر(٢).

ونستخلص من رسالة المهديّ إلى اليمن أموراً ثلاثة:

أولاً– التأكيد على أن عبدالله وليس إسماعيل هو الذي عينه جعفر الصادق ليكون وريثاً له.
ثانياً– أن المهديّ من آل البيت، وأنه ابن عم في الباطن للرجل الذي كان في زمنه وريثاً للإمامة.

ثالثاً– إن المهديّ ربما كان إماماً مستودعاً للقائم أبي القاسم محمد، الذي يبدأ به دور الظهور الحقيقي، لأنه هو محمد بن عبدالله الذي أشارت إليه الدعوة وزالت به التقية.

وعندما أراد أبناء جعفر (إحياء دعوة الحق) خافوا من نفاق المنافقين، وحفظوا شخصياتهم بعيداً عن استبداد العباسيين، فتسمّوا بغير أسمائهم، وأطلقوا على أنفسهم بأسماء ليست أسماءهم مثل مبارك، وميمون، من باب الفأل الحسن للأسماء(٣).

وهذه إشارة واضحة إلى مبدأ (التقية) عند الشيعة (٤)، إذ استخدموها كأحد أعمدة مذهبهم الشيعيّ.
وأشار المهديّ إلى عبدالله الذي تسمّى بإسماعيل وأدى إلى أن المهديّ سيكون محمد بن إسماعيل، فكان كلما قام منهم إمام تسمى بمحمد إلى أن يظهر صاحب الظهور محمد بن إسماعيل وتزول التقية(٥).

---

(١) إبن النديم،الفهرست، ص248؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج26، ص23–25.

(٢) ابن فهد، في نسب الخلفاء، ص9.

(٣) المصدر نفسه، ص10.

(٤) روي عن جعفر الصادق قوله: (التقية ديني، دين آبائي، ومن لا تقية له لا دين له) انظر: ابن فهد، في نسب الخلفاء، ص9.

(٥) وتبعاً لمبدأ التقية في كتم أسماء الأئمة يكون تسلسل الأئمة المستورين كما في رسالة المهديّ عبدالله كما يلي: الإمام عبدالله بن جعفر الصادق، ثم عبدالله بن عبدالله، ثم أحمد بن عبدالله ثم محمد بن أحمد، وقد تسمّى كل واحد من هؤلاء بمحمد باستثناء عبدالله بن جعفر فقد تسمّى بإسماعيل. انظر: ابن فهد، في نسب الخلفاء، ص10.

وتذكر الرواية أن المهديّ أمر أصحابه أن يكونوا على في أهبة السفر، والخروج معه (وأظهر لهم أنه يريد اليمن)(١).

وصارت اليمن معقل الدعوة العلوية منذ أيام الإمام الصادق، وخلافة أبي جعفر المنصور، وكان ابن حوشب (أبو القاسم رستم بن الحسين بن فرج) هو كبير الدعاة في اليمن(٢)، وقد رحب ابن حوشب بأبي عبيدالله المهديّ في أرض كتامة في أفريقية والدعوة فيها(٣).

وكان أبو عبدالله الشيعيّ قد خرج إلى مكة، وقصد كتامة فجلس قريباً منهم إذ كانوا يتحدثون في فضائل آل البيت، فحدثهم حول ذلك الأمر، وقاموا، وسألوه أن يأذن لهم بزيارته، وقد صحبهم ورحلوا إلى مصر، وعندما أراد مفارقتهم سألوه أن يأتي إلى أرض قتامة يبشر بدعوته سنة 288هـ، ونزل في موقع فج الأخيار، وسمعت بدعوته القبائل(٤).

وعلم بأمره إبراهيم بن الأغلب، وحدثت مواجهات بين أنصار أبي عبدالله الشيعيّ وإبراهيم بن الأغلب وانتصر عليهم في منطقة ميلة سنة 289هـ/902م، وقد هزم جيوشهم وسلب أموالهم وقتل الكثير منهم(٥).

إن الأسباب التي جعلت أبا عبدالله الشيعيّ يبشر بدعوته وسط قبيلة كتامة في أفريقية هو النصر الذي حققه على الأغالبة، والذي يعدّ من الأسباب المباشرة التي جعلت عبيدالله الشيعيّ يتوجه إلى أفريقية(٦).

ونجح المهديّ في نهاية الأمر من الوصول إلى سجلماسة، عن طريق مناطق قسطيلية وتوزر وايكجان، وفي سجلماسة ألقى القبض عليه أمير المدينة وسجنه، وفي الوقت الذي كان أبو عبدالله الشيعيّ في طريقه إلى تقويض السلطة الأغلبية، ونجح في السيطرة على مدينة رقادة – عاصمة الأغالبة، وطرد زيادة الله آخر أمرائهم في رجب سنة 296هـ/909م(٧).

---

(١) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 149؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 26، ص32؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 52؛ وانظر: حسين، محمد كامل، طائفة الإسماعيلية (تاريخها، نظمها، عقائدها)، مكتبة النهضة المصري: القاهرة، 1959م، ص15؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص546.

(٢) المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج1، ص40، 59، 60.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص127. أحداث سنة 296هـ؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج1، ص55.

(٤) المقريزيّ، المواعظ، م2، ص177.

(٥) المقريزيّ، المواعظ، م2، ص177؛ وانظر: الطالبيّ، الدولة الأغلبية، ص706.

(٦) ابن الأثير، الكامل، م 6، ص 127؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 55؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص547؛ حسن، أحمد، موسوعة تاريخ مصر، دار الشعب: القاهرة، 1970م، ج2، ص502؛ اليماني، محمد، سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهديّ من سلمية إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقاد، تح و.إيفانوف، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، القاهرة، 1936م، ص 108؛ القاضي، وداد، الدعوة العبيدية الإسماعيلية في افريقيا والمغرب (نموذج للحركة الثورية المسلحة)، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة الأولى، ع3، يناير (كانون الثاني) 1979، ص14.

(٧) ابن الأثير، الكامل، م 6، ص128؛ المقريزيّ، الخطط، م 2، ص180؛ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص151–154؛ عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 131–154؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص546؛ حسن، موسوعة تاريخ المغرب، ص502؛ اليماني، سيرة الحاجب، ص116–119.

وذهب أبو عبدالله الشيعيّ إلى سجلماسة، وأطلق سراح المهديّ من السجن واصطحبه ليدخل منتصراً إلى رقادة في 21- ربيع الثاني سنة 297هـ/810م، وأعلن قيام الخلافة الفاطمية وتلقب بـ (المهديّ لدين الله) وبـ (أمير المؤمنين)(١).

ومثلما تخلص العباسيون من أبي مسلم الخرساني مؤسس دولتهم تخلص الإمام المهديّ من داعيته أبي عبدالله الشيعيّ، الذي مهّد له الطريق في أفريقية إذ قتله، وكذلك أخوه أبي العباس الداعي(٢)، ذلك لأن أبا العباس الداعي شك في شخصية المهديّ نفسه أو لأن المهديّ أراد التخلص من سلطته ونفوذه وسط قبيلة كتامه(٣).

وكان الضعف قد بدأ يصيب الدولة العباسية السنية بعد أن تفككت إلى دول صغيرة، خاصة ابتداءً من عصر الخليفة الراضي (322-332-هـ/ 934-940م)، إذ انفصلت الأقاليم الشرقية عن الخلافة، بينما أخذت بقية الممتلكات العباسية تستقل تدريجياً عن سيطرة الخلافة(٤).

وقد رافق ضعف الدولة العباسية المدّ الشيعيّ في القرن الرابع الهجريّ الذي أفقد الخلافة العباسية سيطرتها، وسطوتها(٥).

وكان الفاطميون يملكون القوة الفتية المتنامية، والتي ترغب في مدّ نفوذها، وسيطرتها مقابل الدولة العباسية المنهكة المتداعية على كل الأراضي(٦).

وكان عبيدالله المهديّ (297-322هـ) قبل مقتل أبي عبدالله الشيعيّ إمام الفاطميين، وتلقب بأمير المؤمنين، يقول ابن خلدون: (فلما استوثق لهم الأمر دعوه من بعدها بأمير المؤمنين، وهو أول لقب تلقب بهذا الإسم من الأمراء في المغرب، وكتب عبيدالله المهديّ إلى جميع البلاد فأخذ البيعة)(٧)، وأمر أن يذكر اسمه في الخطبة في رقادة والقيروان، وأن يكون لقبه (خليفة الله) و (المهديّ بالله أمير المؤمنين)(٨).

---

(١) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 151-154؛ عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 131-154؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص546؛ حسين، موسوعة تاريخ المغرب، ص 502؛ اليماني، سيرة الحاجب، ص116-119.

(٢) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 266-267؛ عمادالدين إدريس، تاريخ الخلفاء، ص 162-168؛ المقريزيّ، اتعاظ، ج1، ص67-68؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج26، ص33-34.

(٣) عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء، ص163-170.

(٤) مجهول، العيون والحدائق، ج4، ص298-299.

(٥) نجح الزيديون في إقامة دولة لهم في طبرستان سنة 250هـ/864م، وفي اليمن سنة 284/797. واستولى القرامطة على جنوب العراق، والبحرين، والإحساء. ونجح البويهيون الشيعة في فرض سيطرتهم على بغداد بعد ثلاثين سنة من انتصار العباسيين. انظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغداديّ (ت 597هـ/1201م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف-الهند، 1357-1359هـ، ج7، ص47،38،23،19،15. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الجوزي، المنتظم.

(٦) المقريزيّ، الخطط، ج2، ص181،180؛ وانظر:

Shaban M.A., Islamic History A.D 750-1055 (A.H 132-448), Anew Inter pretation, Cambridge united kingdome, 1976. P.121.

(٧) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص248-249؛ ابن خلدون، المقدمة، ص198، وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص598؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص30.

(٨) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 249؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 198؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص198؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص30.

وبهذا فإن دولة الفاطميين قد قامت في المغرب بشكل رسمي بعد خمسة عشر عاماً قضاها أبو عبدالله الشيعيّ في أرض كتامة، وهو يدعو للإمام المنتظر، وبهذا فإنه قد قضى على دولة الأغالبة في القيروان، والرستميين في تاهرت، والمدراريين في سجلماسه، قبل القضاء على دولة الأدارسة في فاس[١].

وأراد المهديّ أن يجد قاعدة لدولته، ولذلك أنشأ المهديّة التي جعلها قاعدة لملكه[٢]، وكان وكان يهدف من وراء إنشاء المهديّة الجديدة، البعد عن (رقادة والقيروان) مركز المقاومة السنية[٣] والدعوة لمذهبه وهذه من ضمن الأسباب التي كانت وراء إنشاء الدولة الفاطمية، وقد أسس هذه المدينة على طرف الساحل الشرقي لأفريقية، وقد انتقل إليها سنة 308هـ/930م وقد بنى لها مسجداً جامعاً وقصراً كبيراً[٤]. وقال المهديّ بعد بنائها: (الآن أمِّنت على الفاطميات)[٥].

كل ما تقدم ذكره يدعونا لدراسسة الأسباب التي أنشئت من أجلها الدولة الفاطمية، والتي كان منها أيضاً: إزاحة المغتصبين العباسيين، كما يقول المهديّ، وفي الوقت نفسه تقويض النظام الذي شيّده أعداؤه الألداء من الأمويين في الأندلس[٦]، ومواصلة الجهاد في صقلية ضد ضد البيزنطيين[٧].

---

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص52-53؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص15؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص477-478؛ الدشراوي، فرحات، الخلافة الفاطمية بالمغرب، ص 296-365هـ/909-975م) ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1994م، ص202. وسيشار إليه فيما بعد: الدشراوي الخلافة الفاطمية.

(٢) البكريّ، المغرب، ص29-30؛ مجهول، الاستبصار، ص 117-118؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 198؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص70-71؛ وانظر: حسين، موسوعة تاريخ، ج 2، ص53؛ زبيب، نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ط 1، 1995م، ج 2، ص176؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص30.

(٣) البكريّ، المغرب، ص 29-30؛ مجهول، الاستبصار، ص 117-118؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص70-71؛ حسين، موسوعة تاريخ، ج 2، ص 53؛ زبيب، الموسوعة العامة، ص 176؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص30.

(٤) البكريّ، المغرب، ص 29-30؛ مجهول، الاستبصار، ص 117،118؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص70-71؛ وانظر: حسن، موسوعة تاريخ، ج2، ص53؛ زبيب، الموسوعة العامة، ص176؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص30.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص151؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل نور الدين علي جمال الدين محمود ابن محمد بن عمر،المختصر في أخبار البشر، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج1، ص68. وسيشار إليه فيما بعد: أبو الفداء، المختصر؛ وانظر كذلك: مؤنس، تاريخ المغرب، م 1، ص482؛ العباديّ، في التاريخ العباسي، ص232.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 170-171؛عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ص 192؛ وانظر: الدشراوي، الخلافة الفاطمية، ص203-204؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص57.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص170-171؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ص 192؛ ؛ وانظر: الدشراوي، الخلافة الفاطمية، ص203-204؛ سير الدولة الفاطمية، ص57.

وأراد المهديّ توسيع مملكته شرقاً، فأرسل قائده حباسه بن يوسف بالجيوش على المشرق، فدخل مدينة سرت بالأمان، وهرب من كان فيها من جند بني العباس، حتى تم له فتح أكثر برقة(١).

وقد أراد أيضاً، فتح مصر، فأوفد ابنه أبو القاسم من رقادة غازياً إلى مصر سنة 301هـ/ 913م في حشود عظيمة من البربر بقيادة حباسة، استولى
على الاسكندرية ولكن جيوش المقتدر العباسي هزمته بقيادة مؤنس الخادم، فعاد إلى المغرب(٢).

وكان الفاطميون يسعون من وراء السيطرة على مصر، والاسكندرية، وإخراج النفوذ المصري من برقة؛ للسيطرة على التجارة بين الشمال والجنوب عبر الصحراء الليبية المصرية المارة إلى الموانئ الشمالية(٣).

وقد أعاد عبيد الله المهديّ الكرة على مصر، وأرسل جيشاً هزمه الجيش العباسي ثانية سنة 307هـ/919م، ثم أرسل حملة ثالثة فأخفقت، ومات عبيدالله المهديّ في منتصف شهر ربيع الأول عام 323هـ(٤).

وبعد محمد المهديّ (322-334هـ/934-946م) جاء ابنه القائم بأمر الله، وكان يكره أهل السنة، الأمر الذي استفز المغاربة. وكانت أشد الثورات عليه ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد المعروف بـ (صاحب الحمار)، والذي اكتسب تأييد أهل السنة، وقضى على ثورته، وقتله المنصور بالله أخو القائم في قلعة قتامة سنة 336هـ/948م(٥).

---

(١) الطبري، تاريخ، ج 1، ص148-150؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص4، 113،89؛القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص326؛ ابن ظافر، جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي منصور ظافر الأسدي، أخبار الدولة المنقطعة، تحليل وتعقيب أندريه فريه، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1972م، ص14-15. وسيشار إليه فيما بعد: ابن ظافر، أخبار الدولة.

(٢) ابن الأثير، الكامل، م6، ص147؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص208؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص19-20؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص170-172، 181-182، 351؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج26، ص35-40؛ المقريزيّ، الخطط، م 2، ص181؛ وانظر: شعبان، محمد عبد الحي، الدولة العباسية (الفاطميون) الدار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان (د.ت)، ص 229، وسيشار إليه فيما بعد: شعبان، الدولة العباسية. حسين، موسوعة، تاريخ مصر، ج2، ص502-503.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص147.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص149-150 ابن الابار، الحلة السيراء، ص281؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص188-194؛ المقريزيّ، الخطط، ج1، ص174، ج2، ص27؛ وانظر: شعبان، الدولة الفاطمية، ص229.

(٥) القاضي النعمان، المجالس، تح الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح، محمد اليعلاوي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1978م، ص72،155، 73، 114، 214، 216، 223، 224، 245، 336، 492، 542، 555؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص310-311؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج 5، ص172-306، تاريخ الخلفا، ص 347-417؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص 235؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص285،220،216؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص40-45؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج1، ص75-86.

وخلف ابو الظاهر إسماعيل الملقب (المنصور 334-341هـ/945-951م) أباه في الخلافة، وقصُرَ همُّه على محاربة أبي يزيد مخلد، وقد أخفى موت والده حتى لا يؤثر ذلك على حماسة جيوشه، التي كانت مشغولة بثورة أبي يزيد الخارجي(١).
وقد أمر المنصور ببناء مدينة له سنة 337هـ، واختارصبرة، وسماها بالمنصورة، وهي على مقربة من القيروان، واتخذها حاضرة لدولته(٢).

وبعد المنصور تولى الخلافة أبو معد المعز لدين الله (341-365هـ)، ولم يعلن المعز وفاة والده المنصور قبل السابع من ذي الحجة من سنة 341هـ، حين أذن للناس فدخلوا عليه، وسلّموا عليه بالخلافة، وكان له من العمر أربع وعشرون سنة(٣).

وازدادت الاضطرابات في المغرب وخصوصاً عندما التفّ حول أبي يزيد مخلد سنة 323هـ/ 944م، عدد كبير من أتباعه فهدد (المهديّة)، زيري بن مناد زعيم قبيلة صنهاجة البربرية، والقضاء عليه(٤).
ومن ضمن المصاعب التي واجهت الفاطميين في تركيز دولتهم في المغرب عداء الأمويين لهم، والعمل على مساعدة الثوار ضد الدولة الفاطمية، وحماية الثوار عند اللجوء للأندلس عندما تضطهدهم الحرب، لذلك، كما كان الأمويون على استعداد لغزو طنجة وسبتة والاستيلاء عليهما، ورد الفاطميين إذا ما فكّروا بغزو الأندلس(٥).

فكر الفاطميون منذ أيام دولتهم في المغرب في غزو الأندلس غرباً، كما فكروا في غزو مصر شرقاً، ومهدوا لذلك بالدعاية الشيعيّة من جهة، وبث العيون من جهة أخرى، لمعرفة أحوال تلك البلاد، ومواطن الضعف والقوة فيها(٦)، ورأى الفاطميون أن احتلالهم للأندلس سوف يجعل المغرب الإسلامي كله خاضعاً لهم، فقسم شرقي تابع للخلافة العباسية السنية، وقسم غربي تابع للخلافة الفاطمية الشيعيّة، وتبدأ أطماع الفاطميين في الأندلس منذ أيام أميرهم عبيد الله المهديّ، لذلك فقد أرسلوا العيون إلى الأندلس، ومن ضمنهم أبو اليسر الرياضي (ت 298هـ)، وأبو جعفر بن هارون البغداديّ (عاش في عهد المهديّ والقائم)

---

(١) أبو يزيد مخلد بن كيداد من قبيلة زناته البربرية، نشأ في توزر (Tozeur) في جنوب تونس، وخالف الخوارج النكاريه، وهم من الأباضية ثم رحل إلى مدينة تاهرت عاصمة الرستميين، فاعتنق مذهبهم ودخل في زمرتهم. وابتدأت دعوته للمذهب الخارجي سنة 336هـ وظل يدعو الناس ستة عشر عاماً حت كثر أتباعه وقوي أمره فجاهر الدولة الفاطمية بالعداء سنة 332هـ، وتسمى شيخ المؤمنين، وقد سمّي بصاحب الحمار لأنه كان يركب حماراً رمادي اللون وبجانبه أولاده الأربعة وزوجته كانت من أشد الخلصين لدعوته. وكان مشهوراً بتواضعه وزهده. انظر: القاضي النعمان، المجالس، ص 55، 72،73،74،214،216،223،224،245،336؛ ابن الأثير الكامل، ج 8، ص20-21، 422، 441؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص227،220،216.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص308، 317؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص102؛ المقريزيّ، الخطط، ج1، ص351؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص387؛ وانظر: كحيلة، المغرب، ص81؛ الروضان، موسوعة تاريخ المغرب، ج2، ص54.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص341؛ المقريزيّ، الخطط، ج1، ص351.

(٤) المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج1، ص68-87، الخطط، م2، ص179-180؛ وانظر: حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد المغرب منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1964م، ص 87-90.

(٥) المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج1، ص75-90.

(٦) العباديّ، في التاريخ العباسي، ص 235.

والرحالة ابن حوقل النصيبي (ت 367 هـ)، والذي يسميه ياقوت الحمويّ بالتاجر الموصلي[١].

وفي عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الذي عمل على إعادة فرض النفوذ الفاطمي على المغرب الأقصى، فأرسل قائده ومولاه جوهراً الصقلي على رأس حملة قوية سنة 347هـ، ونجح جوهر في تحقيق رغبة المعز لدين الله، وأخضع القبائل في جبال أطلس، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء على القواعد المطلة على المضيق، فقد حرص الأمويون في الأندلس على التمسك بها لأهميتها الاستراتيجية ضد أي هجوم يقوم به الفاطميون من الجنوب[٢].

فكّر المعز لدين الله في امتلاك مصر، لنشر الدعوة الفاطمية، وشرع في إعداد جيوشه لفتح مصر، ذلك لأهميتها الجغرافية، والسياسية، والتجارية، وأن ولاة هذه البلاد كانت إليهم ولاية الشام والحجاز فكان امتلاك مصر هو امتلاكاً لهذين البلدين، وبخاصة بعد أن أحسن كافور الإخشيدي استقبال الدعاة الفاطميين الذين وفدوا عليه من قبل المعز لدين الله[٣].

وساءت أحوال مصر بعد وفاة كافور الإخشيدي سنة 357هـ/ 969م إذ انتشرت الفوضى والفتن واضطربت الأسعار، وهلك الضعفاء من الناس [٤]. ولهذا فإن جماعة من الإخشيدية ووجوه البلد قد كتبوا إلى المعز لدين الله يطلبون إليه استلام مصر، وضمنوا له المساعدة لامتلاك مصر بدون قتال[٥].

وبذلك فإن الفرصة تكون قد تهيأت لنجاح الغزو الفاطمي لمصر على يد قائد المعز لدين الله جوهر الصقلي سنة 358هـ/969م[٦].

وبعد أن اكتملت خطة غزو مصر، سار جوهر الصقلي نحو مصر في ربيع الأول سنة 358هـ/969م، إذ مرّ على برقة، ثم واصل سيره نحو الإسكندرية، ودخلها بلا قتال، وفتحت له ابوابها، وكان عدد الجيش الذي توجه إلى مصر نحو مائة ألف مقاتل[٧].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص 348؛ العباديّ، في التاريخ العباسي، ص 235.

(٢) العباديّ، في التاريخ العباسي، ص 235.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج 4، ص 6؛ المقريزيّ، الخطط، ج 1، ص 180–181؛ وانظر: العباديّ، في التاريخ العباسي، ص 348 وما بعدها.

(٤) الانطاكي، تاريخ يحيى، (ت 458هـ/1066م)، تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي، باريس–فرنسا، 1924م، ص14. وسيشار إليه فيما بعد: الأنطاكي، تاريخ يحيى؛ المقريزيّ، إغاثة الأمة بكشف الغمة، دار الهلال، القاهرة، 1990م، ص40–41.

(٥) الانطاكي، تاريخ يحيى، ص 114؛ وانظر: كاشف، سيدة إسماعيل، مصر في عهد الإخشيديين، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1970م، ص365.

(٦) المقريزيّ، المواعظ، ج 1، ص184–185 ،الخطط، ج 1، ص377–378؛ وانظر: كحيلة، المغرب، ص83؛ حسن، حسن إبراهيم، وطه أحمد شرف، المعز لدين الله، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 2، 1963م، ص34؛ وانظر: العباديّ، في التاريخ العباسي، ص 348 وما بعدها.

(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص375–376؛ المقريزيّ، الخطط، ج 1، ص182–183؛ السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ط 1، 1968، ج1، ص599؛ وانظر: كحيلة، المغرب، ص83.

وانتقل المعز من المنصورية سنة 361هـ/972م، بعد أن استخلف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي على أفريقية، إذ نقل رفات أهله إلى مصر(١).
ودخل المعز القاهرة يوم الثلاثاء الخامس من رمضان سنة 362هـ/ 13 حزيران لعام973م. وبذلك أصبحت القاهرة مركز الدعوة والخلافة الفاطمية بدل (المنصورية) في المغرب، وتحولت البلاد المصرية من مركز إمارة إلى مركز خلافة(٢)، وأصبح المعز أول الخلفاء الفاطميين ببلاد مصر، حيث مارس سلطاته عليها وقام بعزل جوهر الصقلي عن دواووينها وجباية أموالها(٣).

وقام المعز بطرد القرامطة(*) من مصر (٤)، وكان قد توفي في ربيع الآخر

سنة 365هـ/19 كانون أول 975م(٥).

إن انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر أفقد الفاطميين أفريقية في عهد المعز بن باديس سنة 441هـ/1049م، وذلك لأن عمال الفاطميين على المغرب من صنهاجة لم يكونوا عمالاً، بل بلغوا درجة الملوك، وكانت لهم فخامة وصيت، وكانت دولهم قوية، وزادت أيامهم

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص45-46 ج8، ص621؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص144؛ وانظر: مشرفة، عطية، نظام الحكم في مصر في عهد الفاطميين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، (د.ت)، ص48.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص67؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص227-228؛ المقريزيّ، الخطط، ج1، ص188-189؛ اتعاظ الحنفا، ج 1، ص124-139؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4، ص66-72؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص11؛ وانظر: حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص150.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص380، ج5، ص128؛ المقريزيّ، الخطط، ج 1، ص188-189، اتعاظ الحنفا، ج1، ص135-140؛ وانظر: حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص151.

(*) القرامطة (278هـ/891/-892م): وهي حركة شيعية إسماعيلية الأصل اتهمت بالإلحاد والحلول والكفر، في السنة التي تأسست فيها الدولة الفاطمية في أفريقية طهر القرامطة الذين غشوا جزيرة العرب وسوريا والعراق ونشروا فيها الرعب وجلبوا على الأمة الإسلامية الكوارث والخراب، وكان أول ظهورهم في سواد الكوفة ثم انتشروا في البحرين معقل أصحاب المبادئ الثورية، وقد كانوا بزعامة سعد الجنابي حيث قوي أمرهم، واستطاعوا سنة 287هـ غزو منطقة (كلدة)، فأرسل إليهم الخليفة العباسي، المعتضد بالله (بويع سنة 278هـ/892) جيشاً قوياً هزمهم شرّ هزيمة. وبعد هذه المعركة بسنتين بلغوا الشام وأعملوا فيها الخراب والنهب. وفي سنة 301هـ/603-904م اغتيل أبو سعيد الجنابي فتولى الزعامة من بعده ابنه أبو طاهر الذي استولى على البصرة وعمل في البلاد التي فتحا السلاح والنار وظل هو وأتباعه يرتكبون أروع ضروب الفتك ويلحقون الهزائم بالجيش العباسي، حتى بلغت بهم الجرأة فجأة سنة 317هـ في حكم الخليفة العباسي المقتدر بالله (ولّي الحكم 12 ذو العقدة 295هـ/907م) على مكة في أيام الحج دون أن يرعوا حرمة البيت الحرام، وقتلوا الحجيج، وقلعوا الحجر الأسود وحملوه معهم، وقد انتهى الأمر بالقضاء على القرامطة بعد خمسة عشر سنة. وممّا لا شك فيه، أن السر في الصراع العنيف بين القرامطة والفاطميين في بلاد الشام، يعود إلى أن القرامطة قد خسروا نفوذهم الاقتصادي والتجاري في بلاد الشام، أثر امتداد النفوذ الفاطمي، ورفض هؤلاء دفع الأتاوة والفروض المقررة للقرامطة على مدن بلاد الشام بموجب الاتفاقات منذ الإخشيديين. ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص58؛ ابن الأثير، ج7، ص202؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج4، ص351-404؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص537؛ زيود، محمد، التجارة بين مصر والشام في العصر الفاطمي، مجلة دراسات تاريخية، السنة 17، ع 57-58؛ أيلول-كانون أول، 1996م، جامعة دمشق-سوريا، ص113.

(٤) المقريزيّ، الخطط، ج 1، ص188-189، اتعاظ الحنفا، ص 154-139؛ وانظر: حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص151-152.

(٥)المقريزيّ، الخطط، ج 1، ص188-189، اتعاظ الحنفا، ص 124-139؛ وانظر: حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص151-152.

عن مائتي سنة، ثم استقلوا بالأمر في أفريقية إذ أعلم بلكين (*) الذي كان تابعاً للفاطميين، يوسف بن زيري بن مناد شيخ صنهاجة استقلاله وأسس الدولة الزيرية عام 363هـ/973م(١).

وقد بقيت أفريقية ولاية تابعة للفاطميين في مصر حتى وليها المعز بن باديس، وهو الذي أزال خطبة المصريين عن أفريقية، إذ خطب للقائم العباسي، وخلع طاعة الفاطميين في مصر وجاءته الخلعة من بغداد، وكاشف المستنصر الفاطمي في مصر بخلع الطاعة عام 345هـ وقتل من كان بأفريقية من شيعتهم (٢). فسلط اليازوري وزير المستنصر قبائل العرب على أفريقية، وولي منهم تسعة ملوك في مدة 181 سنة، ثم ملكها الفرنج اثنتي عشرة سنة(٣).

ومما سبق يمكن القول أن الدولة الإسماعيلية الفاطمية في المغرب قد مرت بمرحلتين، هما:

١. مرحلة الإعداد للدعوة:

إذ كانت اليمن مركزاً هاماً للدعوة الشيعيّة، وذلك لبعدها عن مركز الخلافة العباسية، ومناعتها، وصعوبة الطرق الموصلة إليها، ولقربها من الحجاز مجمع الحجاج(٤).

وكان رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب وهو من الكوفة، والذي عرف بمنصور اليمن يرسل الدعاة إلى اليمامة، وعمان، والبحرين، ومصر، والمغرب، وجاء اختيار المغرب لبعده عن الخلافة العباسية، وتذمر البربر من الحكم العباسي (٥). ولهذا فإن المغرب كان تربة خصبة لزرع الدعوة الشيعيّة.

وقد أنفذ جعفر الصادق إلى المغرب داعيين، هما: الحلواني، وأبا سفيان، وقال لهما: (بالمغرب أرض بور، فاذهبا واحرثاها حتى يجئ صاحب البذر) (٦). وقد انتشرت الدعوة الشيعيّة في بلدتي مراغا وجمار، التي نزلا بها ولما بلغ ابن حوشب نبأ وفاة هذين الداعيين

(*) بلكين (بلقين): من كبار رجال الدولة الفاطمية، وقبل أن يرحل المعز إلى مصر أعطاه اسماً عربياً وكناه أبو الفتوح، وصار أميراً لأفريقية وبلاد الزاب، وسائر أنحاء المغرب الأوسط وطرابلس بعد خمس سنوات، وقد قاد (بلكين) حملة كبيرة اجتاحت المغربين الأوسط والأقصى في سنة 368هـ/978م، واستطاع أن يدخل تاهرت وتلمسان وفاس وسجلماسة، بل ان خيله طرقت إلى قبيلة برغواطة في إقليم تامسنا وأمعنت القتل فيهم، لكنه أخفق في سبتة التي أحسن الأمويون الدفاع عنها، وقد توفي (بلكين) يوسف بن زري في سنة 373هـ/984م وخلفه ولده المنصور. حول (بلكين) ويوسف بن زيدي، انظر: ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص47؛ ابن عذاري، البيان، ج1 ص28؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص205-206؛ وانظر: كحيلة، المغرب، ص85-86؛ الموسوعة العامة، ص200-201.

(١) النويريّ، نهاية الأرب، ج24، ص168؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص317.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ص328؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص32.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ص328؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص32.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 65؛ وانظر: سالم، المغرب الإسلامي، ج 1، ص 104؛ العباديّ، أحمد مختار، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، صحيفة معهد الدراسات، مدريد، إسبانيا، م 5، 1957م، ص 194.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج4، ص 65 وما بعدها؛ سالم، المغرب الإسلامي، ج1، ص 104.

(٦) المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص 57؛ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 29 وما بعدها؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 45 وما بعدها؛ وانظر: مكي، محمود علي، التشيع في الأندلس، صحيفة المعهد المصري، مدريد، إسبانيا، م 2، 1954م، ص 98.

عهد إلى أبي عبدالله الشيعيّ بالدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب، حيث خرج أبو عبيد الله الشيعيّ إلى مكة والتقى ببعض رؤساء قبيلة كتامه البربرية، منهم موسى بن حريث، وأبو القاسم الورث جومي، ومسعود بن ملاك الساكتي[١].

وقد واجه أبو عبيد الله الشيعيّ بعض الصعوبات في دعوته، إذ انقسم البربر، وانتهى الانقسام بفوز الفريق الذي يسانده، ودخلت قبائل كثيرة في دعوته وقال لهم: (أنا لا أدعوكم لنفسي، وإنما أدعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت) [٢]، ودخلت الكثير من قبائل البربر في دعوة أبي عبيدالله الشيعيّ ككتامة وعجيسة وزوارة[٣].

وقال أبو عبدالله الشيعيّ: (المهديّ يخرج في هذه الأيام ويملك الأرض، فيا طوبى لمن هاجر إلي، وأطاعني)[٤]، وأخذ يهدد الناس بابن الأغلب، ويذكر كرامات المهديّ، وما يفتح الله له، ويعدهم بأنهم يملكون الأرض كلها.

٢. مرحلة الصدام المسلح:
وتبدأ هذه المرحلة من عام 289هـ وتنتهي بإسقاط الشيعة الإسماعيلية لدولتي الأغالبة، والرستيميين سنة 296هـ، إذ زحف أبو عبيدالله الشيعيّ عام 289هـ في مصادماته الحربية مع الأغالبة إلى منطقة طبنة، وأغار عليها فسير إليه أبو العباس بن إبراهيم بن أحمد الأغلبي ابنه أبا عبدالله (الأحول) لمحاربته[٥]، ولكنه انهزم مرتين[٦].

وقد انتشرت جيوش أبي عبدالله الشيعيّ في البلاد، وحدثت في سنة 292هـ موقعة كينونة، إذ أن زيادة الله الأغلبي الذي تولى الإمارة بعد مقتل أبيه وأخيه أبي العباس بن إبراهيم قد سير حملة بقيادة إبراهيم بن حبشي، وفي المقابل استنفر أبو عبدالله الشيعيّ قبائل كتامة، وحدثت معركة انتصر فيها الشيعيّ على الحبشي، وغنم غنائم كثيرة[٧].

وكتب الشيعيّ إلى عبدالله المهديّ بمنطقة سلمية من أرض حمص، يخبره بما فتح الله عليه، فتنكر المهديّ في زي تاجر، وقدم إلى مصر ثم ارتحل إلى القيروان، ثم على قسنطينة ثم إلى سجلماسة، وأكرمه أميرها اليسع بن مدرار[٨].

وتتابعت انتصارات أبي عبدالله الشيعيّ من كينونة إلى منطقة سطيف، إذ هدمها، واستولى عام 293هـ على بلدتي بلزمة وطبنة، وفي سنة 294هـ استولى على باغاية بالأمان، ثم افتتح قرطاجنة واستأمن أهل تيفاش، ثم سقطت تبسة، وتبعتها القصرين، وفي سنة 295هـ استولى الشيعيّ على قسنطينة ثم سقطت الأربس سنة 296هـ، وعلى إثر ذلك فرّ

---

(١) المقريزيّ، الخطط، ج3، ص 21؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص 66؛ مكي، التشيع، ص 98.
(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 162،163؛ المقريزيّ، الخطط، م2، ص177.
(٣) المصدر نفسه، ج1، ص 162،163؛ المقريزيّ، الخطط، م2، ص177.
(٤) المقريزيّ، الخطط، م2، ص179−180.
(٥) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 149، 150، 151.
(٦) المصدر نفسه، ج1، ص 150، 151.
(٧) ابن خلدون، العبر، ج1، ص 71؛ وانظر: العباديّ، في التاريخ العباسي، ص 226.
(٨) ابن خلدون، العبر، ج1، ص 71 وما بعدها.

زيادة الله حليف الدولة العباسية إلى مصر، ودخل أبو عبدالله الشيعيّ مدينة رقادة وسقطت دولة الأغالبة بالاستيلاء على القيروان[١].

وفي هذه الفترة اكتشف اليسع بن مدرار أمر أبي عبيد الله المهديّ[٢]، فسجنه هو وابنه أبا القاسم، وعلم الشيعيّ بذلك، فسار إلى سجلماسة، وقد استخلف أخاه أبا العباس على افريقيا، وفي طريقه على سجلماسة مرّ على تاهرت عاصمة الرستميين، واستولى عليها، وقضى على الدولة الرستمية، وولى على تاهرت أبا حميد دواس ابن صولات اللهيصعي وإبراهيم بن محمد اليماني الهواري، ثم تابع الشيعيّ سيره إلى سجلماسة، وحاصرها ودخلها وأخرج المهديّ وابنه من السجن[٣].

وأقام الشيعيّ والمهديّ أربعين يوماً، ثم رحلوا إلى القيروان بعد أن ولى الشيعيّ على سجلماسة إبراهيم بن غالب المزاتي وقد وصلا إليها في ربيع الأول سنة 297هـ، وقد خرج أهل القيروان من الفقهاء ووجوه المدينة، لاستقبال المهديّ، وسألوه تجديد الأمان لهم، فأمنهم على أنفسهم ولكن لم يؤمنهم على أموالهم، الأمر الذي بث الخوف والرهبة في قلوبهم منذ ذلك الوقت[٤].

وقد نزل عبيد الله المهديّ في منطقة قصر الصحن، بينما نزل ابنه أبو القاسم في قصر أبي الفتح، وبويع للمهدي في رقادة البيعة العامة، وتلقب المهديّ بأمير المؤمنين، وضربت السكة باسمه، وولى من يراهم أهلاً للمناصب[٥].

- **المبادئ التي نادَوا بهـــــا :**

أشاع أبو عبدالله الشيعيّ نمطاً معيناً من الخطاب بين المنضمين إلى الدعوة، وهذا النمط يقوم على المساواة الاجتماعية كأحد المبادئ التي آمن بها في دعوته، بحيث يقول الرجل للرجل: (يا أخانا) بما فيهم أبو عبدالله نفسه مهما اختلف الوضع الاجتماعي للواحد منهم عن الآخر[٦].

ولقد سعت الشيعة الإسماعيلية الذين يعدّون أنفسهم أنصار علي بن أبي طالب وأبنائه أن يحصلوا على الخلافة طوال العصر الأموي، وقد تحالفوا من أجل ذلك مع العباسيين بداية، إلا أنهم فشلوا في ذلك. وقد نادوا بمبدأ وشعار المبايعة للرضا من آل محمد أثناء كفاحهم ضدَّ الأمويين[٧].

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 150 وما بعدها؛ وانظر: حمادة،الوثائق السياسية ، ص 25 – 27.
(٢) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 21؛ وانظر: العباديّ، في التاريخ السياسي، ص 227.
(٣) ابن عذاري، البيان، ج1، ص 154–155.
(٤) المصدر نفسه، ج1، ص 155.
(٥) المصدر نفسه، ج1، ص 155.
(٦) القاضي وداد، الدعوة العبيدية، ص 14.
(٧) ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 202،201؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج 4، ص 351،404؛ وانظر: حمادة،الوثائق السياسية ص26.

ولكن ما إن انهارت الدولة الأموية سنة 132هـ / على يد العباسيين، واستلموا الحكم، حتى انهار التحالف بينهم وبين أبناء عمهم آل علي وشيعته، وحدث الصراع الحربي المذهبي بين الدولة العباسية السنية والدولة الفاطمية الشيعيّة، ابتداءً من تأسيس الدولة الفاطمية في المغرب سنة 296هـ /909م[١].

إن الدولة الفاطمية دولة شيعية إسماعيلية من حيث المبادئ التي آمنوا ونادوا بها[٢].

ونحَّى جعفر الصادق ولده إسماعيل من الإمامة، لأنه كما تذكر الروايات وجده ثملاً وليس من المعقول أن يوصي جعفر الصادق وهو التقي الورع لابنه الذي لم يلتزم حدود الدين، فاقترف الكبيرة، وشرب الخمر، غير أن أنصار إسماعيل أنكروا على جعفر هذا التصرف، وقالوا: أن اسماعيل معصوم وإن كان قد شرب الخمر، فإنه شربها لأمر في علم الله، وتمسكوا به إماماً ورفضوا الاعتراف بإمامة أخيه موسى[٣].

ورواية أخرى تقول: أن إسماعيل لم يمت في حياة أبيه، بل أنه مات بعده بخمسة أعوام، وأظهر أبوه موته من قبيل (التقية)؛ خوفاً على حياته؛ لأن الأئمة كانوا مضطهدين من قبل الدولتين الأموية، والعباسية[٤].

هذا وبعد ذلك المدخل التاريخي الديني المذهبي للفاطميين فقد آمن الإسماعيليون بالكثير من المبادئ، والتي كانت تخدم وجود دولتهم، وإطالة أمد الدولة الفاطمية، من خلال حشد الأنصار والمؤيدين لدولتهم، سواء في المغرب أم بعد انتقالهم إلى مصر.

فقد نادى الفاطميون بالإمامة أو الخلافة الفاطمية التي هي خلافة دينية وراثية تقوم على محورين[٥]:

المحور الأول- هو العلم الإلهي الموروث عن النبي عن طريق علي، ثم أولاده من بعده إلى الفاطميين.

المحور الثاني – (الوصية) باعتبار أن الإمامة الفاطمية وارثة لوصية محمد (ص).

إمّا عن الأساس الأول، فالإمام هو محور الدعوة الإسماعيلية، ويقولون أن الأرض لا تخلو من إمام، وهذا الإمام إما ظاهر مكشوف، وإما باطن مستور، فهم يقولون: من مات ولم

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 201، 202؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج 4، ص351-404 ؛ وانظر: حمادة، الوثائق السياسية، ص26.

(٢) ابن ظافر، أخبار الدولة، ص27-28؛عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج4، ص351-404؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م 1، ص452؛ العباديّ، في التاريخ العباسي، ص 260؛ زكار، تاريخ المغرب، ص405؛ كحيلة، المغرب، ص72.

(٣) النوبختيّ، فرق الشيعة، ص57-58؛ القمّي، المقالات والفرق، ص80؛ وانظر: حسين، طائفة، ص11-12.

(٤) النوبختيّ، فرق الشيعة، ص 57-58؛ القمّي، المقالات، ص 80؛ الشهرستانيّ، الملل والنحل، ج 1، ص171؛ الشكعة، إسلام بلا مذاهب، ص226؛ وانظر كذلك:

Daftary, Op. cit., P.95.

(٥) الشهرستانيّ، الملل والنحل، ج 1، ص171-172. والإمام في نظرهم عموماً معصوماً من الخطأ، وطاعته جزء من الإيمان. انظر: العباديّ، في التاريخ العباسي، ص263.

يعرف (إمام زمانه) مات ميتة جاهلية، ومن مات ولم يكن في عنقه (بيعة إمام) مات ميتة جاهلية[١].

وقام النزاع بين الإمامية الموسوية (الاثني عشرية) الذين كانوا يقولون بإمامة موسى الكاظم (الابن الأصغر لجعفر الصادق) وبين الإسماعيلية، الذين كانوا يقولون بإمامة إسماعيل ابن جعفر الصادق، لأنه قد نص على إمامة إسماعيل[٢].

ولم يعترض المعتدلون من الإسماعيلية على إمامة موسى في حياة أبيه، وقالوا: إنه مستودع كالحسن بن علي بن أبي طالب الذي لم يستطع أن يورث الإمامة لأبنائه، رغم أنه كان إماماً على حين كانت الإسماعيلية يرون أن إسماعيل إمام مستقر، يستطيع أن يورث الإمامة لأبنائه كالحسين بن علي بن أبي طالب[٣].

كانت (الوصية) من المبادئ التي آمن ونادى بها الفاطميون، وهي النص على ولاية العهد، فمن المعروف أن الخلافة الفاطمية خلافة رافضية، أي أنها ترفض خلافة أبو بكر وعمر، وترى أن علياً يستحق الإمامة بعد النبي (ص) (لا عن طريق الكفاية)، بل عن طريق النص عليه بالاسم [٤]. ويذكرون في سبيل الاستدلال على ذلك أن النبي (ص) بعد حجة الوداع، قال في غدير خم (موقع بالقرب من مكة): (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)، وقوله أيضاً: (علي مني بمنزلة هارون من موسى)[٥].
ويقول ابن خلدون في هذا المجال: (أن الشيعة الإسماعيلية خصّوا علياً باسم الإمام نعتاً له بالإمامة التي هي أخت الخلافة، وتعريفاً بمذهبهم في أنه أحق بإمامة الصلاة من أبي بكر كما هو مذهبهم، فخصّوا بهذا اللقب من يسوقون إليه منصب الخلافة[٦].

ومن المبادئ الدينية التي نادى بها الشيعة الإسماعيلية، وانتشرت بشكل واسع وهو مبدأ (التقية)، ويقضي هذا المبدأ على صاحبه بالمحافظة على نفسه، وماله، وعرضه، بالاستتار أو بإخفاء معتقده إذا خاف عدوه، وعجز عن مواجهته، وقالت الشيعة الإمامية أن الإمام جعفر

---

(١) الشهرستانيّ، الملل والنحل، ج1، ص171-175؛ وانظر: العباديّ، في التاريخ العباسي، ص263.

(٢) الشهرستانيّ، الملل والنحل، ص 90-91؛ وانظر: سعيد، الدولة الفاطمية، ص 30؛ حسين، طائفة الإسماعيلية، ص157-160.

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9، ص101-104؛ الشهرستانيّ، الملل والنحل، ص90-91؛ وانظر: سيد، الدولة الفاطمية، ص30؛ حسين، طائفة الإسماعيلية، ص157-160؛ Bernard Lewis, The Origins of Ismailism, Cambridge University – British, 1940, P. 49-52.

(٤) الشهرستانيّ، الملل والنحل، ص90-91؛ وانظر: حسن، طائفة الإسماعيلية، ص157-160.

(٥) الشهرستانيّ، الملل والنحل، ص90-91؛ وانظر: حسن، طائفة الإسماعيلية، ص157-160.

(٦) كان الفاطميون يفضلون لقب إمام على لقب خليفة لأن كلمة خليفة فيها معنى النيابة بعد النبي (ص)، فلا يعني فقط المجئ بعد النبي بل يدل على السلطان الديني الذي هو مباشرة من الله. وقد ربطوا بين الإمام والإله بكثير من الروابط الوصفية والإسمية، ثم يأتي بعد ذلك أور الدعاة الذين يدعون للمذهب. واختص كل واحد منهم ببلد من البلدان. انظر :مؤنس، تاريخ المغرب، م 1، ص 454؛ حسن، طائفة الإسماعيلية، ص 149؛ العباديّ، في التاريخ العباسي، ص262.

الصادق قال: (التقية ديني ودين آبائي، ومن لا تقية له لا دين له)[١]، والمثال هذا على المبدأ، عندما أعلن جعفر الصادق وفاة ابنه إسماعيل لحمايته[٢].

وكانت مبادئ الدعوة الإسماعيلية تستند إلى (داعي الدعاة) الذي كان يلي قاضي القضاة في الرتبة، وكثيراً ما كانت الوظيفتان تسندان إلى رجل واحد، ويساعد داعي الدعاة في نشر التعاليم الفاطمية اثنا عشر نقيباً، وله نواب ينوبون عنه في البلاد[٣].

وكان داعي الدعاة يقوم برياسة الدعوة الإسماعيلية، ويأخذ العهد على المؤيدين والمريدين، إما مباشرة، أو بواسطة نوابه في مصر، والإشراف على المجالس، وعرضها على الخليفة لإقرارها وتذييلها بإمضائه[٤].

وأما الإمامة فقد أصبحت أحد المبادئ الرئيسية التي نادى بها الفاطميون، ويكاد تكون الخلافة ملغية من حساباتهم، فالإمامة كما نادوا بها فهي سر أودعه الله في آل البيت، وهي تنتقل من الإمام إلى ابنه الأكبر وراثة حتمية، فظلوا متعلقين بإمامةإسماعيل بن جعفر الصادق، وقالوا أن اسماعيل هو الإمام المستقر، وأن موسى الكاظم هو الإمام المشروع[٥].

أما موسى الكاظم وأبناؤه فهم الأئمّة السبعة، لأن موسى الكاظم عندهم هو الإمام السادس ثم جاء بعده ابنه الذي استتر، ولا زالوا في انتظاره إلى اليوم[٦].

وأما أتباع إسماعيل بن جعفر فقد جعلوا فيه الإمامة، ونقلوها من بعده إلى ابنه محمد الباقر، كما يؤمنون بمبدأ الغيبه أي (غيبة الإمام)، بأنه الإمام الذي استتر سيعود إلى الدنيا عندما يشاء الله يملؤها عدلاً.

وأرسل القائم بأمر الله إبن المهديّ برسالة إلى أهل مكة، يدعوهم للإنضمام إلى صفوف الفاطميين ويقول: (نحن أهل بيت الرسول (ص) ومن أحق بهذا الأمر منّا ؟) وفي الرسالة أبيات من الشعر يهجو بها أهل مكة، لسيرهم على نهج العباسيين غير الشرعيين كما يدعي، وأنه هو الخليفة الشرعي[٧].

(١) النوبختيّ، فرق الشيعة، ص 57-58؛ القمّي، المقالات، ص 80؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م 1، ص455؛ حسن، الطائفة الإسماعيلية، ص19.

(٢) النوبختيّ، فرق الشيعة، ص 57-58؛ القمّي، المقالات، ص 80؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م 1، ص455؛ حسن، طائفة الإسماعيلية، ص19.

(٣) المؤيد في الدين، داعي الدعاة هبة الله الشيرازي (ت 470هـ/1077م) السيرة المؤيدية، نشرة محمد كامل حسني، القاهرة، 1949م، ص151؛ وانظر: حسن، تاريخ الإسلام، ص211.

(٤) المقريزيّ، الخطط، ج1، ص391؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج3، ص211.

(٥) الشهرستانيّ، الملل والنحل، ج1، ص171-172؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص137.

(٦) الشهرستانيّ، الملل والنحل، ج1، ص172-173؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص137.

(٧) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص287.

أما أهل مكة فقد ردّوا برسالة تؤكد على الخليفة الراضي بالله، الذي حكم عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً(١).

ممّا سبق نستدل على أن الفاطميين كانوا ينادون بمبدأ أحقية الفاطميين بالخلافة والإمامة باعتبارهم من سلالة الرسول (ص) أي من آل البيت، وأن ذلك أمر بديهي ومفروغ منه ولا مناقشة فيه، وأن الله أنقذ البشر بخلافتهم إلى غير ذلك من المفاهيم والمبادئ الدينية(٢).

وكذلك فقد نادوا بطاعة الإمام، وأن طاعته هي طاعة لله، وأن أصله إلهي (المقصود هنا الخليفة المعز لدين الله الفاطمي)(٣).

وفي الرسالة التي وجهها المهديّ العلوي إلى أبي طاهر الجنابي القرمطي، والذي يلومه على أفعاله الشنيعة عندما دخل البيت الحرام، وقلع الحجر الأسود، وأخذه إلى البحرين سنة 317هـ وقال المهديّ: (أنه سجلت علينا نقطة سوداء لا تمحوها الأيام والليالي، وقد حققت على دولتنا ((الفاطمية)) اسم الكفر، والزندقة، والإلحاد، بفعالك المقصود بذلك ((أبي طاهر الجنابي القرمطي)))(٤).

وبالإضافة إلى العباسيين الذين ساعدوا أبا يزيد بن كداد اليفرني (صاحب الحمار)، الأمر الذي أدى إلى الاضطرابات في المغرب سنة 323هـ/944م، في ثورته فإن الأمويين قد ساعدوا ضد الدولة الفاطمية وحماية الثوار، باللجوء إلى مناطق الفاطميين في سبتة وطنجة والأندلس، حيث كان الأمويون يخشون التسرب الفاطمي إلى المغرب ويرون أن الفاطميين قد يستولوت على الأندلس(٥).

ممّا سبق نستطيع القول أن الفاطميين في سبيل تأسيس دولتهم، وتوسيعها، فقد لجأوا على أسلوب العمل السري قبل إنشاء كيانهم، وهو الأسلوب نفسه الذي اتبعه العباسيون من قبلهم، وظلوا يخططون ويبثون الدعاة حتى تمكنوا من تأسيس دولتهم في المغرب، ومن ثم مصر وبلاد سورية حتى كادت أن تقضي على الخلافة العباسية، لولا ظهور الأتراك السلاجقة الذين اعتنقوا الإسلام على المذهب السني، وتمكنوا من إيقاف الزحف الشيعيّ باتجاه الشرق، ونصروا مذهب أهل السنة ضد أهل الشيعة، وقاموا باسترجاع القسم الأكبر من بلاد الشام.

---

(١) مؤنس، تاريخ المغرب، ص137.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص57-58.

(٣) المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج1، ص251-265.

(٤) ابن سنان، ثابت، تاريخ أخبار القرامطة، تح سهيل زكار، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1971م، ص14.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص306-310؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص217،216؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج1، ص75-90؛ القاضي النعمان، المجالس، ص55، 72، 73؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج5، ص172، 173.

▪ موقف السكان المحليين من الدولة الفاطمية :

كان البربر يمثلون غالبية سكان شمال أفريقية، بينما كان العرب يمثلون الحكام، وقد كان أبو عبدالله الشيعيّ يدعو للإمام المنتظر، وتكللت دعوته بالنجاح [١]، إذ استطاع أبو عبدالله الشيعيّ من القضاء على دولة الأغالبة في القيروان، ودولة بني رستم في تاهرت ودولة المدراريين في سجلماسة مثل القضاء على دول الأدارسة [٢]، وحاول فتح مصر ثلاث مرات (301هـ، 307هـ، 321هـ) دون جدوى.

استطاع عبيدالله المهديّ أن يقضي على دولة الأدارسة، باستعانته بموسى بن أبي العافية وابن عمه، وقائده مصاله بن حبوس كبير مكناسة القبيلة الزناتية الكبرى الذي كلفه بمحاربة الأدارسة، وقد زالت دولة الأدارسة من فاس، وتم إجلاء الأدارسة ونقلهم إلى قلعة النسر قرب البصرة في إقليم طنجة، وترتب على إزالة الدولة الإدريسية العلوية أمرين: أولهما- تكتل الأدارسة وأنصارهم في بلاد الريف، الأمر الذي جعلهم يعدلون عن سياسة التقرب من الفاطميين ويتقربون من الأمويين في الأندلس، وثانيهما: استبداد موسى بن أبي العافية وأبنائه ببلاد المغرب، وإعلانهم استقلالهم عن الدولة الفاطمية، بل إنهم أعلنوا انضمامهم على الأمويين أعداءهم الأساسيين في الأندلس[٣].

وقد تحتم على خلفاء عبيد الله، وبخاصة القائم والمعز لدين الله، العمل على زيادة نفوذهم في المغرب الأقصى وبلاد الريف للقضاء على نفوذ الأدارسة وبيت بن أبي العافية من ناحية وعلى نفوذ الفاطميين من ناحية أخرى[٤].

وقد استقام أمر موسى بن أبي العافية، في المغربين الأقصى والأوسط منذ زال الأدارسة من فاس في عهد عبيد الله المهديّ، ومن ثم خلع طاعة الفاطميين، ودخل في طاعة عبد الرحمن الناصر (الثالث) الأموي [*] (300-350هـ/912-961م)، وقد خطب موسى للأمويين دون الفاطميين[٥].

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج 4، ص16؛ وانظر: العباديّ، في التاريخ العباسي، ص 226-231. العرباوي، محمد مختار، ظهور البربر بشمال أفريقية، مجلة دراسات تاريخية، السنة 22، 794-80، أيلول كانون أول/2002م ص37.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج 4، ص16؛ العباديّ، في التاريخ العباسي، ص 226-231؛ الخربوطلي، علي حسين، مصر العربية الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1963م، ص113-114. وسيشار إليه فيما بعد: الخربطلي، مصر العربية.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 86،85؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص16؛ العباديّ، في التاريخ العباسي، ص226-231؛ حسن، المعز لدين الله، ص25؛ السعيدي، عمر، محاولات الفاطميين الاستيلاء على مصر (الأبعاد الدولية والاستراتيجية)، مجلة دراسات تاريخية، ع 7، كانون ثاني (يناير) 1982م، جامعة دمشق، سوريا، ص 75 – 76.

(٤)ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 85؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص16-17؛ حسن، المعز لدين الله، ص25.

(*) عبد الرحمن الناصر (الثالث): الناصر لدين الله عبد الرحمن الثالث عاش في الفترة من 300-350هـ/912-961م والده الأمير محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، ووالدته تدعى أم ولد، وتسمى مزنة. حول حياة عبد الرحمن الثالث، انظر: ابن عذاري، البيان، ج 2، ص151؛ حتاملة، جيل المولدين، ص104، 107، الأندلس، ص279، 310، 312، 315.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص186، 187، 188.

وكان من دعاة المذهب الشيعيّ الفاطمي داعيين، وهما أبي سفيان والحلواني اللذين كان لهما دور كبير في نشر مذهب التشيع في المغرب، ابتداءً من سنة 145هـ/762م، وذلك قبل بدء أبي عبيد الله الشيعيّ، ونجاح مهمته بين سكان المغرب، الأمر الذي مهّد لظهور الدولة الفاطمية فيما بعد(١).

وكان الإمام جعفر الصادق قد بعث الداعيين أبي سفيان والحلواني، وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة، وينشر فضلهم ومبادئهم، وطلب منهما أيضاً اجتياز حدود أفريقية ذاتها والاستقرار بين البربر سكان البلاد(٢).

إن النجاح الذي أحرزه أبو عبدالله الشيعيّ في نشر الدعوة الشيعيّة وسط قبيل كتامة البربرية في أفريقية، وما حققه من نصر على الأغالبة كانت من الأسباب المباشرة التي دعت المهديّ بالتوجه إلى أفريقية(٣).

وقد اعتمد في المغرب على الموالي، كما اعتمد في المشرق على الموالي من الفرس، ذلك لأن الشمال الأفريقي كان أرضاً مهيأة لنصرة المذهب الإسماعيلي الذي مهد لظهور الدولة الفاطمية 297هـ/909م(٤).

ونجح المهديّ من الوصول إلى سجلماسة عن طريق قسطيلية، وتوروز، وايكجان، في الوقت الذي نجح فيه أبو عبدالله الشيعيّ من تفويض سلطة الأغالبة، وسيطرته على مدينة رقادة (عاصمة الأغالبة) وطرد زيادة الله آخر أمرائهم في رجب سنة 296هـ/مارس909م، إذ ذهب إلى سجلماسة وخلّص المهديّ من السجن، إذ أنه كان قد سجن على يد أميرها، ودخل رقادة منتصراً في ربيع الثاني 297هـ/910م، معلناً قيام الدولة الفاطمية(٥).

اصطدم الفاطميون بالكثير من الصعاب في نشر المذهب الإسماعيلي الفاطمي، ومن تلك الصعوبات وجود فريقين متنافسين من القبائل البربرية: زناته في الغرب، وصنهاجة التي تنتمي إليها قبيلة كتامة في الشرق كان عنصراً مساعداً للإضطرابات، والقلاقل، وانتشار الفوضى في المنطقة(٦).

(١) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 54-58؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص31؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج26، ص54؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج1، ص50؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج4، ص 224-325؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص31.

(٢) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 54-58؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص31؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج26، ص54؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج1، ص50؛ عماد الدين إدريس، عيون الأخبار، ج4، ص 224-325؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص31.

(٣) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص150؛ اليماني، سيرة الحاجب، ص107، 108، 130، 132، 133.

(٤) المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج1، ص68.

(٥) اليماني، سيرة الحاجب، ص116-119؛ عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء، ص131-154.

(٦) عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء، ص131-154.

وقد وجد الفاطميون مقاومة سنية شديدة لمذهبهم من سكان المناطق التي حاولوا نشر دعاتهم ومذهبهم، واجه المهديّ مقاطعة سلبية وإنكاراً لمذهبه، جابهه به أهل أفريقية وعلماؤها أتباع المذهب المالكي، ولم يتعاونوا معهم بأي حال من الأحوال(١).

وكان من أهم الثورات المتتالية تلك التي قام بها أبو يزيد مخلد بن كيداد سابق الذكر، والتي وجدت تأييداً من أهل السنة، والتي قضى عليها الخليفة الثالث المنصور بالله إسماعيل سنة 336هـ/948م، وكانت تلك الثورات سبباً في أن يفكر الخلفاء الفاطميون بالتحول إلى الشرق، لإقامة مملكتهم الشيعيّة، وكسب مؤيدين، وإقامة إمامتهم الفاطمية الشيعيّة(٢).

وساعد أعوان الخلفاء الفاطميين من المغرب الذين استمالوا نفراً من القواد ووجوه الرعية من السكان المحليين البربر، تمهيداً لانتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر بعد أن مهد لها الدعاة وجوهر الصقلي لمدة تقارب من أربع سنوات ونيف، قبل انتقال المعز لدين الله إليها(٣).

وكان المعز لدين الله الفاطمي قد عهد للقائد جوهر الصقلي سنة 327هـ/958م، لتثبيت سلطة الفاطميين في المغرب، إذ أن جوهر قد قاد حملة عسكرية ضد البربر المناهضين للخلافة الفاطمية وخاصة في إقليمي سجلماسة وتاهرت(٤).

كان هناك ما أثار مخاوف الفاطميين على ملكهم في أقصى المغرب، فقد جذب عبد الرحمن الناصر إليه كثيراً من أمراء زناته ورؤساء (تاهرت) و (وهران) وسواها، حتى أنه سنة 341هـ وأدخلت بين يدي الناصر بعض رؤوس كبار الفاطميين التي احتزها خلفاؤه بالمغرب، وعلى رأسهم رأس القائد الشيعيّ ميسور، ورأس محمد بن ميمون، وغيرهما من رؤوس أعلام الشيعة، إذ رفعت هذه الرؤوس على باب قصر قرطبة(٥).

والهدف الذي كان يسعى إليه المعز من وراء إرسال الجيوش الضخمة بقيادة وزيره جوهر الصقلي، واشتراك الكثير من الأمراء الموالين للفاطميين، حتى يكون الأمر أشد إحكاماً، ولذلك وضع على رأس هذه الحملة عدداً من هؤلاء الأمراء، مثل زيري بن مناد الصنهاجي، وجعفر بن علي الأندلسي، وكان يهدف أيضاً إلى إخضاع الثائرين على الدولة الفاطمية من أمراء وسكان محليين، والفتك بما انضم إلى الأمويين.

---

(١) المالكيّ، رياض النفوس، ج 2، ص74–96؛ وانظر كذلك: إسماعيل، محمود، المالكيّة والشيعة بأفريقية إبان قيام الدولة الفاطمية، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، مج23، 1976م، ص73–106.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص216، 217، 218؛ القاضي النعمان، المجالس، ص 55، 72–73، 114، 214، 216، 223، 245، 336، 492، 542، 555؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص422–441؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1، ص235؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص216–220، 285؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 40–45؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ج1، ص75–86؛ المقريزيّ، المقفي، ص146–149.

(٣) المقريزيّ، المقفي، ص332؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص326.

(٤) القاضي النعمان، المجالس، ص 214، 411–412؛ ابن ظافر، أخبار الدولة، ص 22؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 222؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج 26، ص 38؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 46–47؛المقريزيّ، المقفي، ص 327–328، اتعاظ الحنفا، ص 93–94؛ عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص602–633.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص189؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص190–191.

وقد تمكن جوهر الصقلي من هزيمة مركز مقاومة الدولة الفاطمية، ما عدا المراكز التابعة لأموي الأندلس في سبتة، وصالة التي سيطر عليها عبد الرحمن الثالث أمير الأندلس، ومن خلال هذه الحملة تم أسر أمير سجلماسة ابن واسول، الذي كان حليفاً للعباسيين وكان يخطب لهم(١).

- **موقف الدولة العباسية من الدولة الفاطمية :**

كانت الدولة العباسية قد زادت من نقمتها على عبيد الله المهديّ، فقرر المهديّ الفرار من بلدته سلمية(*) بالشام، ومعه ابنه أبو القاسم نزار، الذي قام بالأمر من بعده، وقد خرج معه خاصته، وثقات رجاله(٢).

كان قد اشتهرت دعوة عبيد الله المهديّ بين الناس، فطلبه الخليفة العباسي المكتفي، ولذلك قرر الهروب من سلمية(٣).

ولما وصل إلى مصر كان متخفيا بزي التجار، وكان عامل مصر والاسكندرية للدولة العباسية عيسى النوشري، فبعث إليه الخليفة العباسي المعتضد بأوصاف عبيد الله، وأمره بالقبض عليه وكل من كان بشبهه(٤).

وعلم عبيد الله المهديّ بأن عامل مصر والاسكندرية للعباسيين النوشري يريد القبض عليه، وأنه قد نشر جنوده في كل مكان للقبض عليه، وفعلاً فقد تم القبض عليه، وقال له النوشري: أعلمني حقيقة أمرك حتى أطلقك"، وما زال المهديّ يأخذ النوشري باللطف حتى أطلقه وأخلى سبيله، ويقال: إن المهديّ قد اعطى النوشري مالاً حتى أطلقه(٥).

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص190-191؛ القاضي النعمان، المجالس، ص 411-412، 414؛ ابن ظافر، أخبار الدولة، ص22؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص222؛ النويريّ، نهاية الأرب، ج26، ص38؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص46-47؛ المقريزيّ، الخطط، ج 1، ص185-186، المقفي، ص327-328، اتعاظ الحنفا، ص93-94؛ عماد الدين إدريس، تاريخ الخلفا، ص 602-633؛ وانظر: الروضان، موسوعة، ج 2، ص54. وقد كان للمغاربة قيادة مستقلة من أبناء جلدتهم ضمن جيش العباسيين، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الاختلاف الإقليمي والعنصري بينهم وبين العناصر الأخرى، بالإضافة إلى أن القبائل العربية كانت لها رايات خاصة تقف كل قبيلة تحت رايتها لحث المقاتلين على القتال والصبر عليه. انظر: العزي، محمد فياض محمد، الخلاف بين الجيش والدولة في ظل العباسيين خلال الفترة (247 – 334هـ/861 – 945م)، رسالة ماجستير، إشراف أ.د. محمد البطاينة، جامعة اليرموك، إربد، 2001م، ص 14.

(*) سلمية: وهي بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة وكانت تعد من أعمال حمص. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج 3، ص 240.

(٢) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج 1، ص 191؛ ابن الأثير، الكامل، م 6، ص 127؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص144؛ ابن الابار الحلة السيراء؛ المقريزيّ، التعاظ الخنعا، ص 144.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ج 6، ص 127؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص191.

(٤) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص 191؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 38؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص 144.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ص 38؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص 145.

وعندما تم أطلاق سراحه لحق المهديّ بأصحابه، وابنه أبو القاسم نزار ولما كان في مصر أراد أن يذهب لليمن، فعدّل رأيه(١).

ولما انتهى الأمر به إلى مدينة طرابلس، إذ فارق التجار، وكان في صحبته أبو العباس أخو أبي عبيد الله الشيعيّ، وكان المهديّ قد أرسل أبو العباس إلى القيروان فقبض عليه زيادة الله بن الأغلب، فحقق معه فانكر أبو العباس، وقال بأنه تاجر فسجن(٢).

وكان زيادة الله بن الأغلب قد بعث بكتاب إلى والي طرابلس بالقبض على المهديّ، ولكن المهديّ قد وصل إلى قسطنطينة(*)(٣) ومن ثم تابع سيره إلى سجلماسة.

وانتهى الأمر بوصول عبيد الله المهديّ إلى سجلماسة، وكان الخليفة المعتضد العباسي قد أوعز إلى امير سجلماسة اليسع بن مدرار بالقبض على المهديّ واتباعه، فبحث عنهما وأدخلهم السجن ارضاءً للخليفة(٤).

وأيّد دعوته أهل المغرب، واجتمعت له قبائل البربر، وعندما علم أبو عبد الله الشيعى بما حل بالمهديّ وابنه أبي القاسم جمع مؤيديه ومناصريه وجيشه، وزحف بهم إلى زيادة الله بن الأغلب وحصلت معركة انتهت بانتصار أبو عبد الله الشيعيّ، فهرب زيادة الله إلى مصر، وبويع لعبيد الله المهديّ بالإمامة سنة 296 هـ(٥).

وكان قيام ونشوء الدولة الفاطمية في المغرب من اخطر التحديات التي واجهت الدولة العباسية في القرنين(٦) الثاني والثالث الهجريين، ولقد استقلت هذه الدولة الفاطمية بشكل كامل كامل عن دولة الخلافة العباسية بحيث لم يعد للعباسيين أي سلطة في المغرب.

وجاء قيام هذه الدولة الفاطمية وأصحابها يعتقدون ويقولون: إنهم علويون من أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم أحق بالخلافة من العباسيين الذين اغتصبوها منهم.

كانت بدايات العلويين مع الدولة العباسية من حيث الخروج عليهم والمطالبة بالخلافة في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور، إذ خرج عليه وقاتله، محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأخوه إبراهيم(٧).

نقل ابن عذاري عن الوارق قوله: لم تزل الشيعة منذ مات علي بن أبي طالب– رضي الله عنه– تدعو إلى إمام معصوم، يقوم بالحق على زعمهم(٨).

---

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج 1، ص 191.

(٢) المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص 145.

(*) قسطنطينه: وهي قلعة كبيرة جداً حصينة وهي من حدود أفريقية مما يلي المغرب.انظر: ياقوت معجم البلدان، ج 4، ص 249.

(٣) المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص 145.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج1، ص152؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص126؛ ابن خلدون، المقدمة، ص38؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص145.

(٥) ابن الأثير، الكامل، مج 6، ص130؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج 1، ص191؛ مجهول، الاستبصار، ص204؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص153؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص126؛ ابن خلدون، المقدمة، ص38؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص145.

(٦) النويريّ، نهاية الأرب، ج 25، ص 3؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ج 2، ص 593.

(٧) ابن عذاري. البيان، ج 1، ص 124.

(٨) ابن عذاري. البيان، ج 1، ص 124.

لم تقف الدولة العباسية من العلويين موقف المتفرج بل لاحقتهم واجتهدت في القضاء عليهم، مما جعلهم يميلون إلى السرية في دعوتهم، واستخدام السرية والتقية، حتى يتمكنوا من تحقيق هدفهم(١).

وتمكن فريق من العلويين الوصول إلى المغرب وبث دعاتهم بين السكان وبخاصة البربر، إذ استطاع داعيتهم أبو عبد الله الشيعيّ كسب كثير من الأتباع، وخاصة من قبيلة كتامة البربرية في أفريقية، ويزداد نجاحاً، حتى أرسل إلى عبيد الله المهديّ بالقدوم إلى المغرب(٢).

وأقلق نجاح العلوين الشيعة في المغرب الدولة العباسية، وقامت من خلال أعوانها وجنودها بمحاولة القبض على عبيد الله المهديّ، ولكنه تمكن من الخروج من (سلمية) بالشام، والعبور من مصر، وتوجه إلى سجلماسة التي تمكن أميرها من القبض عليه(٣).
بعد نجاح القائد والداعية الشيعيّ أبو عبد الله في المغرب، والقضاء على دولة الأغالبة حليفة الدولة العباسية السنية سنة 296 هـ. هرب آخر أمراء الأغالبة زيادة الله (290-296 هـ) إلى مصر(٤).
وبعد دخول أبي عبد الله الشيعيّ مدن الأغالبة، مثل: رقادة، والقيروان، توجه إلى سجلماسة، إذ تمكن من إخراج عبيد الله المهديّ الذي كان في السجن، ثم دخل معه رقادة عاصمة الأغالبة ليبدأ بعدها عهد الدولة الفاطمية التي قضت على دولة الأغالبة، ودولة الرستميين في تاهرت، ودولة بني مدرار في سجلماسة(٥).
ومن مظاهر النزعة الاستقلالية عند الفاطميين رغبتهم في التخلص من آثار الدولة العباسية، إذ قام مؤسس الدولة الفاطمية (عبيد الله المهديّ) ببناء مدينة (المهديّة) على ساحل البحر، وحصنها بالأسوار المنيعة، وجعلها مركزا لملكه وأهل بيته، وكان بناؤها قد تم في سنة 303 هـ/915م(٦).
ولم يكن قيام الدولة الفاطمية في المغرب- وتوسعها على حساب الدولة العباسية- مشكلة صغيرة أو فتنة عابرة يمكن القضاء عليها، بل مثل وجود هذه الدولة تحدياً صارخاً للخلافة

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 12- 13؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا، ص 74- 77. ابن خلدون، المقدمة، ص 54.

(٢) ابن الاثير، الكامل ج 4، ص 12؛ المقريزيّ، اتعاظ الحنفا ج 1، ص 55؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب ج 2 ص 547؛ حسن، أحمد. موسوعة تاريخ مصر، دار الشعب، القاهرة، 1970 م- ج 2، ص 502؛ اليماني، سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهديّ من سلمية إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة، تح و. إنعاتوف. مجلة كلية الأداب، الجامعة المصرية، القاهرة، 1936م، ص 108؛ القاضي وداد، الدعوة العبيدية، ص 14.

(٣) القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 151- 154؛ ابن خلكان، أبوالعباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م، ج3، ص118؛ الذهبيّ، العبر في خبر، ج 2، ص85؛ العبر ج 2، ص 85؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 53؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص 546.

(٤) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج 1، ص 191؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 210.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 461؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج 1، ص 191- 192؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 210؛ ؛ المقريزيّ، المقفى، ج 4، ص 558.

(٦) ابن الأثير، الكامل. ج 6، ص 489؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج 1، ص 192.

العباسية، إذ أن خلفاؤها لم يعترفوا بالخلافة العباسية في بغداد، ووصل بهم الحال إلى أن تسموا باسم أمير المؤمنين(١).

وحتى يظهر هؤلاء الفاطميون بمظهر المستقل القوي الذي لا يُلقي بالاً للخلافة العباسية قام أبو عبد الله الشيعيّ، عندما دخل مدينة (رقادة) سنة 296 هـ/ 909 م، وكانت رقادة مركز إبراهيم الثاني الأغلبي، وأمر خطباء الجمعة في رقادة وكذلك القيروان فخطبوا له، ولم يذكروا أحداً من خلفاء الدولة العباسية، وأمر كذلك بضرب السكة (النقود) على أن لا ينقش عليها اسم، ولكنه جعل مكان الإسم على الوجهين عبارة (بلغت حجة الله)، وعلى الوجه الثاني (تفرق أعداء الله)، ويقصد بهم العباسيين. كما أمر أن ينقش على السلاح عبارة (في سبيل الله) ووسم الخيل على أفخاذها بعبارة (الملك لله)(٢).

وعندما سيطر الفاطميون على مصر سنة 358 هـ، ودخلها القائد جوهر صعد المنبر في يوم جمعة، وخطب خطبة دعا لمولاه المعز في أفريقية، وكتب له يبشره بهذا الفتح، وقطع الخطبة لبني العباس في مصر، وأمر أن يقال في الخطبة: "اللهم صلّ على محمد المصطفى، وعلى علي المرتضى وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبط الرسول، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وصل على الأئمة الظاهرين آباء أمير المؤمنين المعز لدين الله"(٣).

ولما جاء المعز الفاطمي إلى مصر خطب أمامه المؤرخ الفقيه الشافعي ابن زورف خطبة فيها مدحاً للفاطميين حتى أن المعز القاضي استمع لها حتى النهاية، ومما جاء في هذا الخطبة: "السلام على أمير المؤمنين المعز لدين الله"(٤).

وكان الخلفاء العباسيون يدركون خطورة الدولة الفاطمية في المغرب عليهم وعلى دولة الخلافة، مع وجود حالة الضعف والوهن التي أصابت دولة الخلافة في بغداد.

ولم يقنع الفاطميون بحكم المغرب، ولكنهم كانوا يرغبون بضم المشرق (مصر والشام واليمن، والحجاز، وحتى العراق) إلى دولتهم. أرسل مؤسس الدولة الفاطمية (عبيد الله المهديّ) ولده ولي عهده أبا القاسم نحو مصر لاحتلالها في حملتين: الأولى سنة 301 هـ والثانية سنة 306 هـ، لكن الخليفة العباسي المقتدر، تصدى لهما، وذلك بأرسال جيشه، وعلى رأسه خادمه مؤنس الذي هزم الفاطميين(٥).

في حصار الفاطميين سنة (306 هـ) كتب قائد جيشهم أبو القاسم ولي عهد الخليفة الفاطمي عبيد الله المهديّ رسالة إلى أهل مكة يدعوهم فيها إلى طاعته، ولكن أهل مكة رفضوا ذلك، وسارع الخليفة العباسي المقتدر إلى إرسال جيش إلى مصر(٦).

وجاء في رسالة أبي القاسم الفاطمي: "نحن أهل بيت الرسول، ومن أحق بهذا الأمر منا" وضمن الرسالة أيضاً ابياتاً من الشعر ومنها:

أيا أهل شرق الله زالت حلومكم ... أم اصدّعت من قلة الفهم والأدب

---

(١) ابن الأثير، الكامل. ج 6، ص 133؛ ابن خلدون، المقدمة. ص 38؛ المقريزيّ، الخطط، ج 1، ص 150- 155؛ وانظر: اليماني، سيرة الحاجب ص 116- 119.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 135؛ المقريزيّ، الخطط، ج 1، ص 132؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة. ص 197.

(٣) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج 3 ص 33.

(٤) المقريزيّ، المقفى، ج 3، ص 284- 185.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 483- 501؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج 1، ص 192؛ الذهبيّ، العبر في خبر، ج 2، ص 117.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 501.

فويحاً لكم خالفتم الحق والهدى ومن حاد من أم الهداية لم يصب

ولما وصل الكتاب والرسالة بعثوا بها إلي الخليفة العباسي المقتدر، وأرسل إلى أبي بكر الصوليّ بعد قراءته الرسالة والشعر وطلب منه أن يرد عليها.

فكتب إليه:

عجبت وما يخلو الزمان من العجب

لقول امرئٍ قد جاء بالمين والكذب

وجاء يمتلون من الشعر ناقص

فسحقا له من مدع أفضل النسب

فمن انت يا مهدي السفاهة والخنا

فقد قمت بالدين الخبيث وبالريب

وفي هذه القصيدة مدح للخليفة العباسي وغيره من الخلفاء العباسيين، إذ قال الصوليّ:

ومعتمد من بعده وموفق

يزدد من إرث الخلافة ما ذهب

نوازلهم في كل فضلٍ وسؤدد

وإن لم يكن في العد منهم لمن حسب(١)

سخر العباسيون الأدباء والشعراء في ذم خصومهم من الفاطميين، وبيان أحقية الخلافة للعباسيين. وكذلك فعل الفاطميون، إذ كان لهم من الشعراء من دافع عنهم ونصر دعوتهم. ،من ابرز الشعراء في مدح الفاطميين كان الشاعر ابن هانئ الأندلسي الذي كان يشبه بالمتنبي. وله في المعز لدين الفاطمي قصائد كثيرة وصل فيها إلى الى الغلو والإفراط المؤدي إلى الكفر كما قال ابن خلكان(٢).

---

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج 1 ص 287- 288.
(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص 428- 429.

قال ابن هاني:

تقول بنو العباس: هل فُتحت مصر	فقل لبني العباس: قد قضي الأمر
وقد جاوز الاسكندرية جوهر	تطالعه البُشرى، ويقدمه النصر
فما جاء هذا اليوم إلا وقد غدت	وأيديكم منها، ومن غيرها، حفر
أفي ابن أبي السبطين أم في طليقكم	تنزلت الآيات، والسور الغُرُ

واستمر طمع الفاطميون بمصر حتى تمكن جوهر الصقلي قائد المعز لدين الفاطمي من دخول مصر والقضاء على الإخشيدين سنة 358 هـ[١].

ومن المواقف الرافضة والتي تعبر عن سخط الخلفاء العباسيين على احتلال مصر من قبل الفاطميين أن أحد (القرامطة) ويدعى الحسين بن أحمد بن أبي سعيد الحسن بن بهرام القرمطي طلب من الخليفة العباسي (المطيع بالله) الأموال، والرجال حتى يخرج الفاطميين منها. فكان رد الخليفة كما ذكر أبو المحاسن في النجوم الزاهرة: "فامتنع الخليفة المطيع بالله من ذلك، وقال: كلهم قرامطة وعلى دين واحد، فأما المصريون (يعني بني عبيد) فاماتوا السنة وقتلوا العلماء"[٢].

وبعد سيطرة الفاطميين على مصر، زادت أطماعهم في الشام، وتمكن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي من السيطرة على دمشق بعد معارك مع أهلها[٣].

ووصل الفاطميون إلى اليمن والجزيرة العربية، إذ خطب لهم فوق المنابر في مكة والمدينة[٤].

أما العراق حيث بغداد مركز الخلافة العباسية العدو اللدود للفاطميين فقد سيطر عليها خلال القرن الرابع الهجري الأسرة البويهية، وهي فارسية الأصل شيعية المذهب، وكان بين هذه الأسرة والفاطميين علاقات جيدة، أدت إلى تبادل الرسائل بينهما وتسهيل عمل الدعاة. ومع ذلك لم يتمكنوا من القضاء على الخلافة العباسية بسبب الخوف من سخط الناس الذين كانوا يعظمون ويحترمون الخلافة العباسية[٥].

ولم يقتصر موقف الدولة العباسية الحازم والرافض لقيام دولة الفاطميين في المغرب، على الناحية السياسية العسكرية، والتي تجسدت في ملاحقة الفاطميين وأتباعهم، والتنكيل بهم وإرسال الأموال والجيوش لمحاربتهم، ومحاولة القضاء عليهم في المهد، ولكنها استخدمت مع

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 309؛ الذهبيّ، العبر في خبر، ج 2 ص 310؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص344-345.

(٢) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 78.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ج 7، ص 344- 345؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 297.

(٤) سرور، محمد جمال الدين، سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1994م، ص168.

(٥) ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج 4، ص 124- 125؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 27.

الشدة والبطش أساليب الحجة والبرهان ومقارعة الفاطميين بالمجادلة والبيان، وإثبات أن دعواهم ومطالبهم غير صحيحة بحيث يؤدي ذلك إلى إضعافهم وانصراف الناس عنهم.

وردّ العباسيون على الفاطميين الذين قامت دعوتهم على أساس أنهم من أبناء علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وزوجه فاطمة بنت الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم). وبالتالي هم أحق بالخلافة من العباسيين(١).

نعم، لقد رد العباسيون على إدعاء الفاطميين أنهم من أبناء علي وفاطمة رضي الله عنهما. ولكن كيف كان هذا الرد؟ كان رداً قاسياً يقوم على إنكار الدولة العباسية للنسب الفاطمي. وما هم إلا أدعياء أي أنهم يدعون النسب إلى آل البيت ولا يُعرف نسبهم(٢).

ذكر أبو المحاسن في النجوم الزاهرة قولاً للخليفة العباسي المطيع (334- 363 هـ) عندما سيطر المعز لدين الله الفاطمي على مصر، وقد طُلب منه أن يساعد في استرجاع مصر، قال الخليفة المطيع: "كلهم قرامطة وعلى دين واحد، فأما المصريون (يعني بني عُبيد) فاماتوا السنن وقتلوا العلماء"(٣).

وفي زمن حكم الخليفة العباسي القادر بالله (381- 422 هـ) تم كتابة محضر (سنة 402 هـ) يتضمن الطعن والقدح في نسب العلويين (الفاطميين) في مصر، وقد شهد على صحة هذا المحضر جماعة من الأشراف العلويين وجماعة أخرى من العلماء والقضاة(٤).

وقيل إن سبب كتابة هذا المحضر أن الشريف الرضي الشاعر، قال أبياتا يمدح فيها الفاطميين في مصر إذ يقول:

ألبسَ الذلّ في بلاد الأعادي	وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي، ومولا مولا	ي إذا ضامني البعيد القصي

وعندما عرضت هذه الأبيات على الشريف الرضي أنكرها، وقال: إنها ليست له(٥).

أخذت مسألة الطعن والقدح في نسب الفاطميين، والتشهير بهم عند الناس، اهتماما كبيرا من قبل العلماء والمؤرخين، وانقسموا في ذلك إلى فريقين:

الفريق الأول: يذهب إلى صحة النسب الفاطمي (العبيديون)، ويرجعهم إلى علي وفاطمة رضي الله عنهما.

ومن هؤلاء المؤرخين وعلى رأسهم ابن خلدون، ابن الأثير أبو الفداء، والمقريزي)(٦).

---

(١) ابن الأثير، الكامل. ج 6، ص 446؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 53؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة. ج 4 ص 25.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأيمان، ج 3، ص 118- 119؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 52؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 34.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 78.

(٤) ابن الأثير،الكامل، ج 6، ص 447. ج 8، ص 73؛ أبو الفداء،المختصر،ج 2، ص 150؛ يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 229- 230؛ وانظر: سرور، سياسية الفاطميين الخارجية ص 175.

(٥) ابن الأثير، الكامل ج 6، ص 447.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 17- 20؛ أبو الفداء، المختصر. ج 2، ص 67- 68؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 52؛ المقريزيّ، الخطط، ج1، ص348-349. وسيشار إليه فيما بعد: المقريزيّ، الخطط.

كان ابن خلدون من أكبر المؤرخين الذين ذهبوا إلى صحة النسب الفاطمي، ودافع عنهم دفاعاً قوياً حيث قال في مقدمته المشهورة: "ومن الأخبار الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين والأثبات في العُبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت صلوات الله عليهم، والطعن في نسبهم إلى إسماعيل الإمام جعفر الصادق، يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستنفعين من خلفاء بني العباس، تزلفا إليهم بالقدح فيمن ناصبهم، وتفننا بالتشمت بعدوهم"(١).

مما سبق نرى أن ابن خلدون يصحح نسب الفاطميين، لأن بعض الناس ومن باب التقرب من الخلفاء العباسيين قد لفق الأحاديث الكاذبة في الطعن بالفاطميين.

ويعترف ابن خلدون بالقول أن الكثير من المؤرخين لا يصححون نسب الفاطميين، وقد وجدنا من أعرض عن قول ابن خلدون في صحة نسب الفاطميين كما فعل ابن حجر العسقلاني(٢).

والفريق الآخر من المؤرخين يذهب ويميل إلى عدم صحة نسب الفاطميين، وما هم إلا أدعياء لا علاقة لهم بالعلويين أبناء علي وفاطمة رضي الله عنهم، ويجعلهم من المجوس أو اليهود(٣).

ومن أشهر المؤرخين الذي انكروا نسب الفاطميين السيوطي، وابن خلكان، وابن عذاري، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، والذهبي، وابن كثير الدمشقي، ابن حجر العسقلاني وابن عماد الحنبلي(٤).

ووقف المؤرخ جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) من الدولة الفاطمية موقفا مؤيداً للدولة العباسية، وذكر في كتابه (تاريخ الخلفاء) في سير الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين وغيرها، ولم وصل إلى الفاطميين إعراضاً عن ذكر سيرتهم، وأطلق على دولتهم اسم (الدولة الخبيثة العبيدية)(٥).

وذكر السيوطي الأسباب التي جعلته يقف هذا الموقف المتشدد من الفاطميين وهذه الأسباب:

- أنهم غير قرشيين، ولكن الجهلة أطلقت عليهم اسم الفاطميين. واصل جدهم من المجوس.
- أكثر هؤلاء العبيديين خارجون عن الإسلام، يعلنون سب الأنبياء والصحابة.
- لا تجوز مبايعتهم لوجود خليفة عباسي شرعي.

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص 52.

(٢) ابن حجر العسقلاني، رفع الأصر عن قضاة مصر تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي،القاهرة ، ط 1، 1998م.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج 4، ص 79؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 34؛

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، ص 118؛ ابن عذاري،البيان، ج 1، ص 150، 157- 158؛ الذهبيّ، العبر في خبر، ج 2، ص 85؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11س، ص 305؛ ابن حجر، رفع الأصر، ص 237؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 4، ص 74؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 34- 35.

(٥) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 34- 35.

ورود أحاديث في خلافة بني العباس[١].

وارتكزت الدولة العباسية في موقفها المعادي للدولة الفاطمية على أساس أنها خلافة سنية المذهب، تقوم على الكتاب والسنة، وتعظيم، وتقدير صحابة الرسول الكرام، أما الدولة الفاطمية فقد بدأت دعوتها بالتشيع، والدعوة إلى آل علي بن أبي طالب، ورفض الصحابة والخلفاء الراشدين، بحيث أُطلق عليها دولة الرافضة أو العبيديين نسبة إلى عبيد الله المهديّ[٢].

واستغلت الدولة العباسية تلك الصفات التي تميزت بها الدولة الفاطمية من حيث سب وشتم الصحابة، والزندقة وتحليل المحارم، مثل الزنا، وشرب الخمر، والقول بأن للقرآن ظاهر وباطن.

ولقد ذكرت المصادر التاريخية العديد من الروايات والقصص التي تصور كيفية معاملة الفاطميين لمن خالفهم من العلماء وغير العلماء.

قال أبو الحسن القابسي: "إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف رجل، ليردوهم عن الترضي عن الصحابة، فاختاروا الموت، فيا حبذا لو كان رافضياً فقط، ولكنه زنديق"[٣].

وعندما دخل عبيد الله المهديّ رقادة بعد أن قضى على الأغالبة أمر الخطيب يوم الجمعة أن يذكره في الخطبة، ويقول: أبو محمد عبد الله الإمام المهديّ بالله أمير المؤمنين، اعترض على ذلك العالم الفقيه جبلة بن حمود الصدقي وقال: قطعوها قطعهم الله، يعني الخطبة للعباسين، وخرج من المسجد وخرج كثير من الناس معه الأمر الذي جعل الفاطميين يعاملون الناس بالشدة بعد رفض دعوتهم[٤].

ولما سيطر عبيد الله المهديّ على المغرب كتب إلى والي مدينة (نكُور) شمال المغرب، يطلب منه الدخول في طاعته وعدم العصيان، فرد هذا الوالي على لسان أحد الشعراء بالأبيات التالية:

كذبت وبيت الله لا تحسن العدلا ولا علم الرحمن من قولك الفصلا[٥]
وما أنت إلا جاهل ومنافق الفصلا[٥]
تمثل للجهال في السنة المثلـــــــى
وهمتنا العليا لدين محمدٍ وقد جعل الرحمن همتك السفلى

وعندما دخل الخليفة الفاطمي المعز لدين مصر احضروا له العالم الزاهد أبا بكر النابلسي، إذ كان يقول: لو كان معي عشرة أسهم، لرميت الروم سهما، ورميت بني عُبيد تسعة، فأمر المعز بقتله، وسلخ جلده على يد يهوديين، وكان يقال له الشهيد[٦].

---

(١) السيوطي، نفس المصدر، ص 34- 35.

(٢) الذهبيّ، العبر في خبر، ج 2، ص 193.

(٣) المقريزيّ: المقفى، ج 4، ص 544.

(٤) المالكيّ، رياض النفوس، ج 2، ص 43.المقريزيّ: المقفى، ج 4، ص 558؛

(٥) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج 1، ص 93- 94.

(٦) الذهبيّ، العبر في خبر، ج 2، ص 230؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 11، ص 297؛ المقريزيّ. المقفى، ج 5، ص 175.

كانت مسألة اتهام الفاطميين بالخروج عن الإسلام الصحيح والسنة، وإظهار البدع من المسائل التي نقلت عن بعض حكامهم. ومن أشهر الحكام الفاطميين التي وردت عنهم تلك الأعمال الحاكم بأمر الله أبو علي منصور 386- 411 هـ، وقد نقل عنه أنه كان يسب الصحابة، ويأمر بذلك، وقتل كثيرا من العلماء والمعارضين له، حتى وصل الأمر أن ادعى الربوبية، وحلول الاله فيه، وتكلم في تأويل كل ما ورد في الشريعة حيث كثر اتباعه في مصر وغيرها"[١].

مات الحاكم بأمر الله الفاطمي مقتولا، وفي سبب قتله قال ابن الأثير: "إن أهل مصر كانوا يكرهونه لما يظهر عليه من سوء أفعاله، فكانوا يكتبون إليه الرقاع فيها سبّه، وسب الخلافة، الدعاء عليه... فكانت سيرته عجيبة"[٢].

وفي الصفحات السابقة يتبين لنا كيف كانت وقفة الدولة العباسية- ممثلة بالخلفاء العباسيين ومن وقف معهم- الحازمة من قيام الدولة الفاطمية، التي قامت على أساس أحقية الفاطميين بالخلافة من غيرهم، وذلك لإنهم ينتسبون إلى العلويين أبناء علي وفاطمة رضي الله عنهم.

وبالرغم من ضعف الخلافة العباسية، إلا أنها لم تتوقف عن ملاحقة الفاطميين، إذ تتبعتهم أينما كانوا، وتعريضهم للقتل والعذاب، وارسال الأعوان والجيوش في سبيل القضاء عليهم. واستخدمت أسلوب الطعن والتشهير في نسبهم. وما كان للدولة الفاطمية أن تستمر ما يقارب (170 سنة) لولا ضعف الخلفاء العباسيين، كما قال المؤرخ المقريزي[٣].

ومجمل القول أنه لما شعرت الخلافة العباسية التي كانت تجاوز مرحلة اضطراب وضعف، ويتعاقب في خلافتها عدد من الخلفاء الضعاف بخطر الحركة الفاطمية الإسماعيلية الداهم وكلت رؤساء الدين وأصحاب المقالات الدينية بالطعن في مبادئ هذه الحركة، والافتراء عليها، ونعتوا مذهبها بالزندقة، والإلحاد، والخروج عن الدين الإسلامي الحنيف تارة والطعن بنسب أئمة هذه الحركة، والتحريض عليهم تارة أخرى، الأمر الذي جعل الفاطميين يخفون دعوتهم ونشرها بطرق خفية شأن كل دين، أو فكر اجتماعي، أو مذهب، فهبَّ دعاة الاسماعيلية للدفاع عن حركتهم، وقد رأى دعاة الإسماعيلية الأول أمثال ميمون القداح وابنه عبدالله، وسعيد الجنابي وابن حوشب، وأبي عبدالله الشيعيّ، وغيرهم بعد أن درسوا شؤون الدولة العباسية من جميع النواحي أنه لا بد من القضاء عليها ولا بدّ من جمع كلمة المعارضين للخلافة العباسية وحكم الخلفاء وجمعهم في بوتقة الإسماعيلية، واستطاعت الدولة الفاطمية في نهاية الأمر من أن تؤسس لدولتين دولة في المغرب من (296 – 365هـ/909 – 975م) ودولة في مصر من (358 – 567هـ/ 969 – 1171م) وأن يكون لها طابعها الخاص في ضرب السكة والخطبة والاستقلال السياسي والروحي عن الخلافة العباسية.

ولقد لخص المقريزي موقف الدولة العباسية من الدولة الفاطمية في قوله أنه اعتبر أن ضعف خلفاء بنو العباس أدى إلى إنشاء واستمرار الدولة الفاطمية لمدة 270 سنة إذ أن الفاطميين قد سيطروا على بلاد المغرب، ومصر، والشام، وديار بكر، والحرمين، واليمن، وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة، وعجزت عساكر بني العباس عن مقاومتهم الأمر الذي جعل العباسيين يلجأون إلى الطعن في نسبهم ذلك، لعجزهم عن مقاومتهم، ووقع القضاة على

---

(١) المقريزيّ، المقفى، ج 3، ص 361- 362؛ ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة، ج 3 ص 178- 179.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 128- 129.

(٣) المقريزيّ، الخطط، ج 1، ص 249.

الطعن في نسب الفاطميين، وإلى إرسال الكتب إلى أتباعهم في المغرب بالقبض على عبيد الله المهديّ الأمر الذي ولد الخوف لدى أتباع الدولة الفاطمية ما قد يلحق بهم الخوف والتشرد والعقاب فلاذوا بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون حتى تسمى محمد بن إسماعيل بالمكتوم (وهو جدّ عبيد الله المهديّ) سماه بذلك الشيعة عند اتفاقهم على إخفائه خوفاً على مذهبهم وأتباعه(١).

(١) المقريزيّ، المواعظ، ج 2، ص 176-180؛ وانظر: غالب، تاريخ الدولة الإسماعيلية، ص 5 – 6؛ حتاملة، عبد الكريم عبده الطالب، خلافة المعتضد بالله (279 – 289هـ/892 – 902م)، أطروحة دكتوراه، إشراف أ.د. نشأت الخطيب، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1982م، ص 182.